خطة أمريكية

لتحديث الدين الإسلامى

أعدهـــا للنشـــر
دكتور / محمد أحمد يحيى
yehiama@hotmail.com

المكتبة المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

(آل عمران:٧٨)

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً

المكتب المصرى الحديث

www.almaktabalmasry.com
info@almaktabalmasry.com

القـــاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٧ شـــارع نوبـــار المنشـــية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

المقدمة

لم تعد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تشعر أننا عالم خارجي بالنسبة لها، تربطه بها صلة صداقة، أو حتى عداء، بل أصبحت تشعر أننا أصبحنا فى عقر دارها، كما أصبحت هى فى عقر دارنا، فهى تؤثر وتتأثر، تضرب وتضرب، تقتل وتقتل، تعطى وتأخذ.

ونختلف وفق موقعنا على خريطة المجتمع العربى والمسلم وفق التوصيف الأمريكى لتلك الخريطة، فى توصيفنا لطبيعة العلاقة بين العالم العربى والولايات المتحدة الأمريكية، فمنا من يرى الشراكة الكاملة مع الصديق الأمريكى ضرورة لحل مشكلات العالم العربى بدءً من قضية فلسطين ومروراً بالحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان والإصلاح السياسى والاقتصادى، ومنا من يرى فى حكومة الولايات المتحدة الشيطان الأكبر الذى يقف خلف كل المآسى والكوارث التى يواجهها الإنسان العربى فى فلسطين وفى العراق وفى غيرها من ربوع العالم العربى.

وإذا كانت الغالبية العظمى من القوى الشعبية على الأقل تعتبر الولايات المتحدة فى حالة صراع من أجل الهيمنة، فإن هذا الصراع قد استعر بعد حادثة سبتمبر المشئومة ليشمل كل جوانب الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

ونحتاج حتى تتسم نظرتنا بالموضوعية أن نرى الأشياء من الجهتين جهتنا وجهتهم، علينا أن نرى الأشياء كما يراها الآخرون، أو أن ننظر إلى أنفسنا من عيونهم، فآرييل شارون يرى الطفل الفلسطيني الممسك بالحجر مثالاً للإرهابى الذى ينبغى للدبابات الرحيمة أن تسحقه وتسويه بالتراب حتى تتخلص البشرية من شروره، وحتى ينعم المواطن اليهودى المسكين بالحياة الآمنة بعد سنوات طويلة من الاضطهاد والعداء للسامية لقيها أجداده من الأجيال السابقة.

وكذلك يرى بوش ورامسفيلد وديك تشينى وكونداليزا رايس أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى ومحمد عطا وخالد شيبة هم إفراز لأوضاع اجتماعية مختلة تحتاج إلى أن تمتد إليها يد العلاج والتعديل، وإلا فستظل الحضارة الإنسانية مهددة بالمزيد من الأجيال التى تلحق بصفوف الإرهاب وتعطل ركب الديمقراطية والأمان.

وبناء على هذا التصور تقوم الإدارة الأمريكية بدعوة مراكزها الخاصة بالأبحاث والتطوير أن تنسج خيوط خطة استراتيجية محكمة لتعديل الأوضاع الاجتماعية التى يعيشها المواطن العربى من أجل تحقيق البيئة الملائمة لتنشئة أجيال عربية جديدة تكون متوافقة مع المصالح الأمريكية، ولا تمثل تهديداً لمستهدفاتها فى الأمن والهيمنة.

فى عام ١٩٦٧ استيقظ الشعب العربى على دوى هائل أصابه بالذعر، إذ أسقطت إسرائيل الحلم الناصرى وتم احتلال أراضى

عربية لايزال العالم العربى اليوم يتلوى ألمًا من أجل استردادها ، ولا يرى فى الأفق سبيلا لتحقيق ذلك الأمل المتواضع الذى يعود بالحال إلى ما كان عليه يوم ٤ يونيه عام ١٩٦٧ ، ولم نكن فى ذلك اليوم فى حال عظيمة، ولكنها ولا شك أفضل كثيراً من حالنا اليوم: إذ كانت الضفة الغربية كاملة بما فيها القدس والمسجد الأقصى تحت الإدارة الأردنية، و كانت غزة تحت الإدارة المصرية، والجولان تحت الإدارة السورية، وسيناء تجوبها القوات المصرية بلا شبر منزوع السلاح، وأين نحن من ذلك اليوم. وكان مما زاد من ألم كارثة النكسة حينذاك أن صرح موشى ديان القائد العسكرى المنتصر أنه نفذ خطة عسكرية منشورة مستنداً إلى حقيقة يؤمن بها أن العرب لا يقرأون، وأنهم إذا قرأوا لا يفهمون.

واليوم تستند الإدارة الأمريكية إلى نفس الحقيقة التى ارتكن إليها موشى ديان من قبل، إذ تضع خطتها الاستراتيجية لتغيير مفهوم المسلمين عن الدين الإسلامى على صفحات الشبكة الدولية الإنترنت ليطلع عليها من يشاء دونما خوف من افتضاح أمرها ، فلم يعد فى عالمنا ما يخيفهم، أو أن ما يخيفهم فى عالمنا هو شىء آخر، هو فى الحقيقة يخيفنا كما يخيفهم، هم حفنة من أبنائنا انتابهم الحزن من الأوضاع، و اليأس من الإصلاح فلم يجدوا إلا العمليات «الانتحارية» أو قل «الاستشهادية» يواجهون بها العالم من حولهم طلبًا للانتقال إلى عالم آخر يكون أكثر عدلاً وأحسن حالاً.

واليوم تطالعنا بين دفتى هذا الكتاب خطة استراتيجية مبادرة تدعو الإدارة الأمريكية ألا تقف مكتوفة الأيدى أمام التفاعلات الاجتماعية التى تعصف داخل الوطن العربى بل تسعى للتمييز بين الطوائف المختلفة وإزكاء التباعد بينها، ليس الطوائف الدينية أو العرقية، وإنما الاتجاهات السياسية التى لم تتمايز بعد فى أطر حزبية داخل المنظومة السياسية المتخلفة فى الوطن العربى، تقوم الدراسة بتحديد اتجاهات أصولية، وأخرى دينية تقليدية، وأخرى دينية إصلاحية، وأخرى حداثية، وأخرى علمانية. وتضع الدراسة حدوداً واضحة تبين مواقف الطوائف المختلفة من القضايا المحورية كالديمقراطية وحقوق الإنسان ودور المرأة فى العمل العام وتعدد الزوجات وتطبيق الحدود وحقوق الأقليات فى المجتمع المسلم ومكانة الحجاب وغير ذلك.

ثم تحدد الدراسة بعد أن بينت هذه الطوائف المطلوب توزيع المجتمع العربى الجديد إليها ما هى الأدوار والعلاقات المطلوبة وكيفية إحداث التغيير المطلوب لفهم المسلمين لدينهم من خلال المؤسسات الإعلامية والتعليمية.

ولا تقتصر الدراسة على المجال الاجتماعى والسياسى، وإنما تخوض فى مسائل قد يعتبرها المسلمون من خصوصياتهم وهى الحديث الشريف، وتشكك فى مدى اعتباره مصدراً من مصادر التشريع، ومدى انتسابه إلى الرسول ﷺ، ومدى صحة المناهج التى اتبعها علماء الحديث فى التمحيص والتصحيح. وتتبجح الدراسة

فتقارن بين مكانة الحديث فى الديانة الإسلامية بمكانة التلمود فى الديانة اليهودية. وتوصى الدراسة بأن يقوم علماء الإدارة الأمريكية بمزاحمة علماء المسلمين فى علوم الحديث باعتبارها المنفذ الذى يمكنهم من تعديل القناعات السلوكية ذات الأبعاد الدينية لدى المسلمين.

وتلقى الدراسة الضوء على ظاهرة الحجاب للمرأة المسلمة، وتدلو بدلوها فى مدى فرضية الحجاب، وهل هو واجب على جميع النساء أم أنه واجب فقط على نساء النبى. وتبين الدراسة حال الحجاب للمرأة فى البلدان المختلفة، وتوصى الحكومات الغربية فى المقام الأول باتخاذ الإجراءات اللازمة لمحاربة ظاهرة الحجاب وتقليصها ما أمكن.

وتحدد الدراسة الأدوار المطلوبة من أهل «الحداثة» فى العالم العربى، والمطلوب من الحكومات لدعمهم ولتمكينهم من أداء رسالتهم فى إحداث التغيير المطلوب فى فهم الإسلام وتزكى نوعًا معينًا من أنواع التدين هو التدين الصوفى، الذى ترى أنه أقل أنواع التدين إضراراً بمصالحها، وتسعى لإحداث الوقيعة بين فصائل التدين فى العالم العربى وإشاعة شائعات مشينة عن العلماء ورموز فصائل التدين لصرف الجماهير عنهم.

ونحن إذ نلقى الضوء على هذه الدراسة أمام القارئ العربى نستشعر الواجب لاتخاذ عدد من الإجراءات الواجبة علينا:

الواجب الأول: هو استشعار المحبة والصداقة للغرب عامة. وللمواطن الأمريكى خاصة، فلا ينبغى أن ننسى أن من يضع هذه الدراسات، ومن يوجه الإدارة الأمريكية لتنفيذها ليسوا سوى حفنة قليلة تعمل لتحقيق مصالح ضيقة من أهمها رعاية المصالح الصهيونية، واستمرار صناعة السلاح التى تحقق للولايات المتحدة استمرار الريادة فى المجال التنكولوچى، وبغير وجود تهديد مستمر لأمن الوطن والمواطن الأمريكى لا تستطيع هذه الدوائر المشبوهة توفير الاعتمادات المالية اللازمة لاستمرار شبكة المصانع التى تغذى ترسانة السلاح الأمريكى بكل ما هو جديد ومبتكر.

أما المواطن الأمريكى العادى فهو أبعد ما يكون عن هذه الأهداف، وهو مثلنا يتمنى أن توجه هذه الاعتمادات الرهيبة إلى التعليم للارتقاء بالمدارس والصحة للارتقاء بالمستشفيات، والضمان الاجتماعى لزيادة المعونات التى تعطى لمحدودى الدخل، ولخلق فرص عمل جديدة لمحاربة البطالة، ولمحاربة الجرائم التى تحرمه من أن يتجول آمنا مساء فى الشوارع والطُرقات.

علينا أن نستمر فى الانحياز لهذا الإنسان العادى البسيط الذى لا يختلف كثيراً عن الإنسان العربى العادى البسيط، وألا نعمم الأحكام فنحقق مستهدفات الدوائر المشبوهة التى تريد أن يصبح العداء المستعر ثابتًا يعيد إلى أذهان البشرية نفايات زبلها التاريخ كالحروب الصليبية والحروب العالمية، فتستباح الدماء، وترتفع أعداد المشوهين والمعوقين والأرامل والأيتام.

وإذا كان هذا هو واجب القارئ العادى، فإن واجب المؤسسات الحكومية والشعبية هو اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الأمر من خلال استخدام الانفتاح الذى يميز عالم اليوم بتخطى أسوار الإدارة الأمريكية التى ضلت الطريق، ومد المزيد من أيادى الصداقة لمؤسسات المجتمع المدنى الغربى عمومًا والأمريكى خصوصًا.

الواجب الثانى: هو أن نقارن بين ما نطالعه من مستجدات الأحداث التى تطالعنا بها الفضائيات والصحف فى كل يوم وبين هذه الخطة الاستراتيجية حتى يتبين لنا إن كانت مجرد دراسة من بين مئات الدراسات التى تصدر كل يوم، أم أنها تحظى بالتبنى من أولى الأمر، وأصحاب القرار بحيث نستطيع أن نضع كل قطعة فى موقعها من الـ jigsaw puzzle فنفهم ما يراد بنا، بدلاً من أن نساق كالقطيع إلى مستقبل مبهم لا ندرى عنه شيئًا.

الواجب الثالث: هو ألا يقتصر تفاعلنا مع هذه الدراسة على الغضب، فالغضب لا يجدى، وهؤلاء فريق من الناس يجتهدون لتحقيق مرادهم فى الحياة، فأين هو اجتهادنا لتحقيق مرادنا فى الحياة؟ ولنسأل أنفسنا عن الجهة المنوطة من طرفنا بوضع استراتيجياتنا نحن لتغيير مجتمعنا المسلم ليكون أقدر على تحقيق الوحدة والنهضة وتحرير أراضيه وإرادته، واستراتيجياتنا نحن لتغيير المجتمع الغربى والأمريكى ليكون أكثر عدلاً، وأقل انحيازاً ضد العرب والمسلمين، هل توجد دولة واحدة تملك رؤية كاملة للمستقبل، وهل تعرض مثل هذه الرؤى على منظماتنا الإقليمية

كجامعة الدول العربية أو مجلس التعاون الخليجي لتحديد مسار بحيث نرى أنفسنا، وبإرادتنا نحن ننتقل من وضع حالي إلى وضع مستقبلي أفضل بدلاً من التدهور والانحدار الذي نتابعه يومًا بعد يوم في معظم المجالات.

الواجب الرابع: هو الاعتصام بحبل الله، وعدم التردي في هاوية الفرقة والانقسام، ولندرك أن الديمقراطية الموعودة ستنقلنا من عهود الديكتاتوريات والاستبداد السياسي إلى عهود الفوضى والفتن، وقد تودي إلى ما هو أشد من ذلك، وقد طالع جيلنا مأساة الحرب الأهلية في لبنان، ومأساة الحرب الأهلية في الصومال، ويشهد الدرس الصومالي خاصة كيف أن مظالم الطاغية سياد بري قد أصبحت حلمًا بعيد المنال لسنوات وسنوات سادت فيها الفوضى والاقتتال وسقطت كل مظاهر الحضارة، واضطر أبناء الصومال أن يتشردوا في كل أنحاء الأرض، فما أحوجنا اليوم، وقبل أن تهب رياح التغيير التي استبطأها الكثير أن تجتمع طوائفنا وأطيافنا على وثائق ومواثيق تحدد مجالات الاتفاق والاختلاف، وأن يكون على رأس ما نتفق عليه أن تكون مصالح أمتنا القومية فوق كل اعتبار، وألا نسمح للخارجي أن يتحالف مع فصيل منا ضد آخر أو أن يستغل قوى ضد أخرى.

الواجب الخامس: أن تراجع كل مؤسساتنا الحكومية والشعبية منهجية الأداء بها، فلم تعد الأفكار والمبادئ الثابتة صالحة وحدها لمواجهة متغيرات عالم اليوم المتسارع، وإنما يجب أن تصوغ هذه

الأفكار والمبادئ استراتيچيات تضع المتغيرات حولها فى الاعتبار للوصول إلى الأهداف المطلوبة باستخدام ما هو متاح من الإمكانيات والموارد.

الواجب السادس: هو الاتفاق على كيفية التعامل مع ظاهرة العنف التى يطلق عليها الإرهاب. إن دفن الرءوس فى الرمال لم يكن يومًا حلاً لمشكلة، والإدانة التى تطلقها بعض القوى والرموز ليست كافية، والملاحقات الأمنية تصلح للتعامل مع تنظيم أو عصابة ولا تصلح للتعامل مع ظاهرة، والاكتفاء بالجلوس أمام شاشات التلفاز لمشاهدة ما يحدث فى جوانتانامو ليس من الشهامة والنخوة التى عرف بها العرب من آلاف السنين. إن هؤلاء الذين يختارون هذا الطريق الخاطئ هم أبناؤنا نحن، وعلاجهم مسئوليتنا نحن وأن ندعهم للغرباء «يربوهم»، ويعاقبوهم ويعاقبونا على جرمهم ليس من الصواب فى شىء.

خلاصة الدراسة الأمريكية:

تبدأ الدراسة الأمريكية بوضع خلاصة يكتفى بها صانع القرار. وفيما يلى نص هذه الخلاصة:

لا جدال فى أن الإسلام المعاصر هو فى حالة تصعيد، حيث يدخل فى صراع داخلى وخارجى على قيمه وهويته ووضعه فى العالم. فى الداخل أى فى نسيج المجتمع الإسلامى ذاته يتصارع الفرقاء من أصحاب الأفكار المختلفة من أجل فرض آرائهم وأفكارهم على

مجتمعاتهم من أجل السيادة السياسية والروحية على هذه المجتمعات. ولهذا الصراع تكلفته مضامينه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية الخطيرة على باقى العالم. وبالتالى يجب على الغرب أن يبذل جهداً متزايداً للوقوف على الفهم وللتأثير فى مخرجات هذا الصراع.

بمنتهى الوضوح فإن الولايات المتحدة والعالم الصناعى الحديث والمجتمع الدولى بأسره سوف يفضل عالمًا إسلاميًا يأتلف مع باقى النظام العالمى والغربى: فيكون ديمقراطيًا وذا صلاحية اقتصادية ومستقراً سياسيًا وفى حالة تقدم اجتماعى ويتبع قواعد ومعايير التعامل الدولى والغربى. فنحن أيضًا نرغب فى اتقاء صدام الحضارات بكل تشعباته - من ازدياد الاضطراب الأهلى الناتج عن الصراعات بين الأقليات المسلمة والشعوب الغربية فى بلادنا إلى ازدياد الكفاح المسلح عبر العالم الإسلامى وتوابعه والتى تؤدى إلى عدم الاستقرار والإرهاب.

وبناء على ذلك يبدو أنه من الحكمة والبصيرة تشجيع عناصر داخل الخليط الإسلامى ممن يكونون أكثر توافقًا مع السلام العالمى والمجتمع الدولى والمحبة للديمقراطية والحداثة. ولكن التعريف الصحيح لهذه العناصر وإيجاد أنسب طريقة للتعامل معها ليس بالمهمة السهلة.

للأزمة الحالية للإسلام مكونان رئيسيان: الفشل فى الإثمار وفقدان الصلة بالمجريات العالمية. فلقد اتسم العالم الإسلامى بفترة

طويلة من المعاناة والرجعية والهوان، فالعديد من الحلول المختلفة مثل القومية والعروبة والاشتراكية العربية والثورة الإسلامية قد باءت جميعها بالفشل وأدى هذا إلى تزايد الإحباط والغضب. وفى نفس الوقت تباعد العالم الإسلامى عن الثقافة العالمية المعاصرة، وهذا موقف يحمل المتاعب الكبيرة لنا ولهم.

يختلف المسلمون فى طريقة التصرف حيال هذا الوضع، ويختلفون فى الشكل الذى ينبغى أن يتخذه مجتمعهم فى النهاية، ويمكننا تمييز أربعة مواقف جوهرية:

* يرفض الأصوليون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية المعاصرة. فهم يريدون دولة سلطوية تتبع الفقه الحنبلى وتطبق نظرتهم المتطرفة للقانون والخُلق الإسلامى. وهم على استعداد لاستخدام الابتكارات والتكنولوچيا الحديثة لتحقيق ذلك الهدف.

* يريد العلماء التقليديون مجتمعًا محافظًا. فهم فى ريبة من الحداثة والابتكار والتغيير.

* يريد الحداثيون أن يصبح العالم الإسلامى جزءاً من الحداثة العالمية. فهم يريدون تحديث وإصلاح الإسلام كى يواكب العصر.

* يريد العلمانيون أن يقبل العالم الإسلامى الفصل بين الدين والدولة واستنساخ سلوك الديمقراطيات الصناعية الغربية مع إرجاع الدين إلى نطاق الحياة الخاصة والعلاقة الفردية بين كل شخص وربه.

تعتنق هذه المجموعات مواقفًا مختلفة بوضوح من القضايا الجوهرية

التى قد أصبحت موضعًا للنزاع فى العالم الإسلامى اليوم والتى تتضمن الحريات السياسية والفردية والتربية والتعليم ووضع المرأة والعقوبات الجنائية وشرعية الإصلاح والتغيير والاتجاه نحو الغرب.

يعادى الأصوليون الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص وهم لديهم العزم بدرجات متفاوتة على إتلاف وتدمير الحداثة الديمقراطية. وزعمهم الإيمان بالديمقراطية ليس خياراً إلا لاعتبارات تكتيكية وقتية.

أما التقليديون فيعتنقون بشكل عام آراءً أكثر اعتدالاً، ولكن هناك فروقًا ذات دلالة بين المجموعات المختلفة من التقليديين. بعضهم يقترب من الأصوليين، ولا يوجد فيهم من يعتنق بصورة كلية الديمقراطية الحديثة، وثقافة وقيم الحداثة وهم فى أفضل الأحوال يمكنهم فقط صنع سلامًا غير سهل معها.

أما الحداثيون والعلمانيون فهم الأقرب إلى الغرب فى ضوء القيم والسياسات. ولكنهم بصورة عامة فى حال أضعف من الجماعات الأخرى حيث يفتقرون إلى الدعم القوى والموارد المالية والبنية التحتية الفعالة والمنصات الشعبية، والعلمانيون إلى جانب عدم تقبلهم فى بعض الأحيان كحلفاء على أساس انتسابهم الأيديولوچى الأوسع إلى اليسار لديهم أيضًا صعوبات فى التعامل مع القطاع التقليدى الواسع من الجمهور الإسلامى.

يحتوى التيار الإسلامى التقليدى على عناصر ديمقراطية يمكن استخدامها لمواجهة التيار الإسلامى الأصولى، ولكنه غير مناسب

كمركبة أساسية للتيار الديمقراطى. يقع هذا الدور على الحداثيين المسلمين ولكن فاعليتهم قد حصرتها عدة قيود سوف يستكشفها هذا التقرير.

ولتشجيع التغيير الإيجابى فى العالم الإسلامى نحو ديمقراطية أكبر وحداثة أكبر وتوافق مع النظام العالمى الدولى المعاصر، تحتاج الولايات المتحدة ويحتاج الغرب بصورة عامة إلى التبصر بعناية شديدة فى أى العناصر والاتجاهات والقوى فى المجتمع الإسلامى التى يقصدون تقويتها وما هى أهداف وقيم تحالفاتهم وتوصياتهم السياسية وكيف تميل أن تكون التوابع واسعة النطاق المترتبة على دفع جداول أعمالهم المتوالية. إن الاتجاه الشامل الذى يتكون من العناصر التالية يميل إلى أن يكون الأكثر فاعلية:

• دعم الحداثيين أولاً:

- انشر ووزع أعمالهم فى شرح وطرح الإسلام بتكلفة مدعمة.
- شجعهم على الكتابة للجماهير والشباب.
- قدم آرائهم فى مناهج التربية الإسلامية المدرسية.
- أعطهم منصات شعبية للتواصل مع الجماهير.
- اجعل آرائهم وأحكامهم فى القضايا الكبيرة للتأويل والفهم الدينى متاحة للجمهور حتى يمكن أن تنافس آراء وأحكام الأصوليين والتقليديين الذين لديهم مواقع على الإنترنت ودور للنشر ومدارس ومؤسسات والعديد من الوسائل الأخرى لنشر آرائهم.

- ضع العلمانية والحداثة كخيار «الثقافة المضادة» للشباب الإسلامى الساخط.

- يسِّر وشجِّع وعيًا بالتاريخ والثقافة قبل عهود الإسلام واللا إسلامية فى وسائل الإعلام ومناهج الدول المعنية.

- صاعد فى تنمية المنظمات المدنية المستقلة لتدعيم الثقافة المدنية وتوسيع المساحة للمواطنين العاديين لتعليم أنفسهم العملية السياسية والتعبير عن آرائهم.

• دعّم معركة العلماء التقليديين ضد الأصوليين:

- انشر نقد العلماء التقليديين للعنف وللتطرف الأصولى وشجع الخلافات ما بين التقليديين والأصوليين.

- ثبط التحالفات ما بين العلماء والأصوليين وامنعها بكل الصور.

- شجع التعاون ما بين الحداثيين والعلماء الأقرب إلى النطاق الحداثى.

- عندما يكون ملائمًا، أحرص على تطوير العلماء لتجهيزهم بصورة أفضل للجدل ضد الأصوليين، فكثيراً ما يكون الأصوليون أعلى فى مستوى بلاغتهم وقدرتهم على التواصل مع الجماهير فى حين يمارس التقليديون «الإسلام الشعبى» غير المفضل سياسيًا. فى مناطق مثل وسط آسيا قد يحتاج التقليديون إلى أن يتم تعليمهم وتدريبهم فى اساسيات الإسلام كى يكونوا قادرين على ترسيخ أساساتهم.

- زوِّد من حضور ونموذج الحداثيين فى المؤسسات التقليدية.

- مِّيز بين القطاعات المختلفة للعلماء التقليديين. شجع من لديهم تجاوب أكبر مع الحداثة مثل مدرسة المذهب الحنفى ضد الآخرين. شجعهم على إصدار آراء دينية ونشرها لإضعاف سلطة الحكم الدينى المستلهم من الوهابية وهو حكم دينى رجعى. وهذا يتعلق بالتمويل: تذهب أموال الوهابيين لدعم المدرسة الحنبلية المحافظة. ويتعلق ذلك أيضًا بالمعرفة: فالأجزاء الأكثر رجعية من العالم الإسلامى لا تكون واعية بالصور الأكثر تقدمًا فى تطبيق وتأويل الشريعة الإسلامية.

- شجع شعبية وقبول الصوفية.

• واجه وعارض الطرح الأصولى للإسلام:

- اعمل على تحدى شروحهم للإسلام وافضح عدم دقتهم فى ذلك.

- اكشف صلتهم بالجماعات والأنشطة غير المشروعة.

- انشر توابع أعمال العنف التى يقومون بها.

- أظهر عدم قدرتهم على الحكم وعدم قدرتهم على تحقيق التنمية الإيجابية لبلادهم ومجتمعاتهم.

- وجه هذه الرسائل بالأخص للشباب والفئات التقليدية المتدينة والأقليات المسلمة فى الغرب وللنساء.

- تجنب إظهار الاحترام أو الإعجاب بأعمال العنف المبهرة

للمتطرفين والإرهابيين الأصوليين انبذهم باعتبارهم مضطربين وجبناء وليسوا أبطال أشرار.

- شجع الصحفيين على بحث قضايا الفساد والنفاق واللاأخلاقية فى الدوائر الأصولية والإرهابية.

- شجع الانقسامات بين الأصوليين.

• دعم العلمانيين بشكل انتقائى:

- شجع إدراك أن الأصولية عدو مشترك وثبط التحالف العلمانى مع القوى المضادة للولايات المتحدة على أساسات مثل القومية والأيديولوچية اليسارية.

- دعم فكرة أن الدين والدولة يمكن أن ينفصلا فى الإسلام أيضًا وهذا لا يهدد العقيدة ولكنه فى الحقيقة قد يقويها.

وأيًا كان الاتجاه المختار أو الخليط من الاتجاهات المختارة فنحن نوصى بأن يتم الاختيار بتروٍّ حريص مع المعرفة بالوزن النسبى لقضايا معينة، والمعنى الذى يميل إلى أن ينسب لمحاذاة صناع السياسة الأمريكيين ذوى المواقف الخاصة عن هذه القضايا، وتوابع هذه المحاذاة بالنسبة للممثلين الإسلاميين الآخرين بما يشمل تعريض الجماعات والأشخاص الذين نسعى إلى مساعدتهم لخطر التشكيك فيهم أو تكذيبهم، وتكاليف الفرصة والتوابع الممكنة الغير مقصودة للأوضاع التى قد تبدو ملائمة على المدى القصير.

* * *

الفصل الأول
تشريح الخريطة الفكرية للإسلام المعاصر

تسعى الدراسة فى فصلها الأول لتحقيق هدف دنيئ.. ففى الوقت الذى يرى فيه كل مبصر اتجاه الأحداث إلى دفع العالم نحو صدام بين العالم الإسلامى والولايات المتحدة الأمريكية، التى تسعى بكل ما أوتيت من إمكانيات دبلوماسية وتكنولوچية ومادية أن تعبئ كل القوى الأخرى لتصطف حولها فى تحالفها ضد ما اسمته «الإرهاب»، وتستخدم ترسانتها العسكرية فى هدم البنى التحتية لأضعف وأفقر شعوب الأرض (الشعب الأفغانى) تحت دعاوى مطاردة المنتمين لتنظيم القاعدة ولفلول الطالبان، وتعيد إلى الأذهان الصور المقيتة للاحتلال العسكرى الذى لطخ تاريخ البشرية فى القرن التاسع عشر عبر استخدام مئات الآلاف من الجنود المدججين بالسلاح حتى بعد انتهاء مهمتهم «الإنسانية» فى تخليص الشعب العراقى من طغيان «صدام حسين»، وحماية العالم الإنسانى من أخطار «أسلحة الدمار الشامل»، وتزود الكيان الصهيونى بقيادة السفاح آرييل شارون بطائرات إف ١٦، وإف ١٥، لاغتيال العزل والشيوخ والأطفال من أبناء الشعب الفلسطينى الأسير تتناسى هذه الدراسة «الرصينة» كل هذه الأحداث التى «تسد عين الشمس»، وتضع العدسات المكبرة لترصد التنوع

والتباين بين جماعات المفكرين والعلماء والنخب فى العالم الإسلامى، وترشد الإدارة الأمريكية إلى أفضل الطرق لدق الأسافين بين هذه القوى المسلمة، ولإزكاء الفرقة والعداوة فيما بينها، ولدعم بعض أطرافها ضد البعض الآخر، وكأن الهوة الهائلة فى الإمكانيات المادية والعسكرية بين الترسانة العسكرية الأمريكية والبطون الجائعة للشعوب الواقعة تحت سيطرتهم لا تكفى لتحقيق ما يريدون من سيطرة وهيمنة، وإنما يلزم دعم ذلك بإثارة الفتن من الداخل، واستقطاب بعض الفئات من داخل المجتمع المسلم لدفعهم لبعثرة الجهود التى يلزم أن تتجمع فى هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ وكأن التنوع العرقى والمذهبى بين سكان العالم العربى والإسلامى لا يكفى لدس الفتن الطائفية والعرقية والمذهبية بين أبناء الشعب الواحد، بل يلزم التفتيش فى العقول عن القناعات الفكرية المختلفة علها تمكنهم من التفريق بين أبناء الأسرة الواحدة، والإخوة والأشقاء لتستحيل نظراتهم وقناعاتهم فى أمور دقيقة إلى أسباب للانقسام، فكم من أختين إحداهما محجبة والأخرى سافرة، وكم من أخين يرى أحدهما أن تعدد الزوجات من المباحات التى يمكن أن تساهم فى حل مشكلات اجتماعية للأرامل والعوانس. ويرى الآخر أنه لم يعد خياراً عمليًا ضمن واقع الحياة المعاصرة. أو أن يرى واحد أن النظام الديمقراطى البرلمانى هو أفضل ما توصلت إليه الإنسانية فى أسلوب الحكم، ويرى الآخر أن هذا مجرد اجتهاد للعالم الغربى، وأن من حقنا وواجبنا أن نطور نظامًا نابعًا من

ثقافتنا وقيمنا المتوارثة وبشكل إسهام فى حضارة الإنسانية. ومنا من يلتزم بتأدية الصلوات الخمس جماعة فى المسجد ويطلق لحيته باعتبارها سنة مؤكدة أو واجبًا وفق فتاوى فقهاء المذاهب الأربعة على الرغم من أنه ليس دارسًا للشريعة أو خريجًا من إحدى الكليات الإسلامية، ومنا الشيوخ والعلماء ومنا المسلم العادى الذى يتأرجح بين المعاصى والطاعات، هل هذه الفروق مجالاً لتقسيم المجتمع؟ ولوضع استراتيجية أمريكية تحدد أسلوب التعامل مع كل فئة من هذه الفئات؟

لعمرى إنه شىء عجيب، وإن شر البلية ما يضحك.

وراحت الدراسة تنظر إلى واقع العالم الإسلامى المعاصر بمبدأ من يرى القذى فى عينى أخيه، ولا يرى العصا فى عينه هو.. لم تقارن الدراسة بين سمو النظام الاجتماعى الإسلامى مقارنة بالفوضى الجنسية التى تتسم بها الحضارة الغربية فى أشكال لم يسبق أن تردى إليها عالم الحيوان.. ولم تبين تلك الدراسة كيف تسمح قيم الحرية وحقوق الإنسان التى يزعمون أنها شعارهم بنوادى للعراة، ولإباحة الزنا والدعارة، ولكنها عجزت أن تتحمل رؤية امرأة مسلمة اختارت أن تغطى شعر رأسها بغض النظر عن دوافعها فى ذلك، فقد عجز زعمهم احترام الحريات الخاصة للإنسان أن يدعوهم إلى تكذيب قول الله ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومع كل ذلك، فالموضوعية تدعونا أن نطالع بدقة ما سطره هؤلاء.. فدعونا نطالع كيف نظهر نحن فى أعينهم هم.

لقد ظل العالم الخارجى لسنوات طويلة يدرك حاجة المسلمين إلى إعادة تفسيروإعادة طرح دينهم الإسلامى بطريقة تكون أكثر ملائمة للاعتدال وللديمقراطية.. ولقد تحولت هذه الحاجة التى شعرنا به لزمن طويل إلى ضرورة ملحة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

لا شك أن هذا الاختيار هو الاختيار البناء، فلا يمكن لنا أن نتجاهل أهمية هذا الدين الإسلامى وإنعكاساته الهائلة على المستويات السياسية والاجتماعية إن هذا الدين يلهم مجموعة واسعة من الأفكار والمواقف السياسية يتسم بعضها بالخطورة على الاستقرار العالمى، ومن ثم فإنه يبدو مناسبًا جداً أن نتدخل لتشجيع وتغذية بعض العناصر بحيث يتحول هذا الدين إلى صورة أكثر إعتدالا وأكثر ديمقراطية وأكثر سلاما وأكثر تسامحا. والسؤال هو: ما هى أفضل طريقة للقيام بذلك؟

هذه الدراسة تقدم الإجابة على هذا السؤال:

إن العالم الإسلامى يحتوى على نسيج لأطروحات ايديولوجية مختلفة، نبدأ هذه الدراسة بالنظرة الفاحصة إلى هذه التيارات المختلفة وما يميز كل منها من حيث نظرتها إلى الدين الإسلامى وإلى المجتمع، ثم نبدأ فى تحليل دقيق لما يمكن أن يعود علينا من سلبيات وإيجابيات إذا قمنا بدعم هذا الفريق أو ذاك، ومن ثم يتم

تحديد الاستراتيجية المختارة لتحقيق هذا الهدف. تبعًا لأحداث ١١ ستبمبر ٢٠٠١ بدأ الرؤساء والقادة وصناع السياسة فى الغرب فى إصدار تصريحات متتالية تؤكد اقتناعهم بأن الدين الإسلامى لا لوم عليه بسبب ما حدث وأن الدين الإسلامى قوة إيجابية فى العالم فهو دين السلام والتسامح. ولقد قاموا بالحديث فى المساجد وعقدوا اجتماعات شعبية موسعة مع الدعاة المسلمين ودعوا الأئمة للمشاركة فى حضور اللقاءات العامة المفتوحة وأدرجوا السور القرآنية فى أحاديثهم.

فعلى سبيل المثال أكد الرئيس بوش أن «الإسلام عقيدة تجلب الارتياح لبلايين الأشخاص حول العالم» وأنه «قد صنع إخوة وأخوات من كل الأعراق. فهو عقيدة تقوم على المحبة وليس الكراهية» (بوش ٢٠٠٢).

لم يكن هذا الاتجاه مقتصراً على الولايات المتحدة ولكنه أيضًا قد ساد فى أوروبا مما أدى ببعض المعلقين إلى القول بتهكم بأن مجموعة الحكام فى الغرب «تظهر بشكل جماعى وكأنها قد حصلت فجأة على درجة من درجات الدراسات العليا فى العلوم الإسلامية بما يتيح لهم إعطاء محاضرات للشعوب بشأن الطبيعة الحقيقية للإسلام (Heitmeyer ٢٠٠١).

جزئيًا، فإن هذا الاعتناق العلنى لإيضاح الدين الإسلامى من قِبَل قادة الرأى والسياسيين له تفسيره العقلانى الواضح: كان القادة

الغربيون يحاولون تجنب الأثر الذى قد يؤدى إلى أعمال العنف والعدائية التى تستهدف أقلياتهم المسلمة. وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك على الأقل نوعان من الدوافع للسياسة الغربية أحدهما قصير الأمد والآخر طويل الأمد. فعلى المدى القصير، كان الهدف هو تسهيل مهمة الحكومات المسلمة فى المشاركة ودعم الجهد المضاد للإرهاب بواسطة فصل قضية الإرهاب عن قضية الإسلام. وعلى المدى الطويل، كان القادة الغربيون يسعون إلى خلق صورة أو رؤية جديدة يمكن أن تيسر التكامل الأفضل للممثلين السياسيين المسلمين والدول فى النظام الدولى الحديث.

ولقد التحق المجتمع الأكاديمى بالركب بسرعة فى محاولة لتأكيد أن الدين الإسلامى هو على الأقل يأتلف مع ما لم يكن يتطلب الاعتدال والتسامح والتعددية والديمقراطية. فى تقديمه لعمل AbdulAziz Sachedina «الجذور الإسلامية للتعددية الديمقراطية»، يعبر Joseph Montville عن غرض مثل هذه الدراسات ودافع مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى تمويلها:

لقد عرفنا أن الدين الإسلامى مثله مثل أى دين كبير فى العالم يعتنق قيم إنسانية كونية معينة يمكن إدراكها وقبولها من قبل غير المسلمين كأساس للمجتمع... ولقد عرف البروفيسير Sachedina أنه يمكنه إبراز تلك الأجزاء من القرآن.. التى تؤكد على كرامة الفرد وحرية الضمير وحب الله لجميع المخلوقات وأهل الكتاب وحتى الأشخاص بدون أى كتاب (Sachedina ٢٠٠١ ص١).

ويشرح المؤلف نفسه:

يتكفل هذا العمل بتصوير بعض أكثر المفاهيم السياسية أهمية فى الدين الإسلامى والتى تطور علاقات إنسانية أفضل فى داخل الشعوب وفيما بينها. فهو يهدف إلى كشف الأوجه المعيارية للصيغ الدينية الإسلامية وتحديد تطبيقها فى الثقافات المختلفة لاقتراح صلتها الحرجة بالنظام العالمى التعددى للقرن الحادى والعشرين.. والهدف هنا ليس تمجيد ماضى المسلمين ولكن تذكرة وتتبع طريقة تفسيره وإعادة بنائه وجعله متصلاً بالحاضر. (Sachedina ٢٠٠١ ص١).

ولكن حتى فى حين سعت مجموعة واحدة من المؤلفين إلى إبراز إحدى مجموعات القيم الموجودة فى القرآن والسنة، هناك مؤلفون آخرون نجحوا فى إيجاد مجموعة أخرى إلى حد ما من القيم ونشرها بهمة.

حتى عندما كان الباحثون الليبراليون داخل وخارج العالم الإسلامى يجمعون حججًا فكرية تدعم الدين الإسلامى الليبرالى المتسامح، كان الإرهابيون يوازونهم فى صنع مرجعية أخرى للإسلام مع تأكيد أن رسالتهم ومنهجهم نابع من الإسلام بشكل مباشر. إن النغمة الاحتفالية والمتخذة فى بعض المجتمعات الإسلامية تتبعًا للهجمات قد بينت بشكل جاد أن هذه النظرة يشترك فيها قطاع معين (لا يستهان به) من الشعوب المسلمة. وحتى بعد الحدث بعام

فإن الدعاة الأصوليين المجتمعين فى لندن للاحتفال بهجمات ١١ سبتمبر قد جزموا فى مؤتمرهم الصحفى أن هذه الهجمات كانت نوعًا من «القصاص العادل» ومن ثم فهى فعل إسلامى صائب (Bowcott ٢٠٠٢).

لقد حاول زعماء الغرب والحكومات المؤيدة لها فى العالم الإسلامى بكل جهد فصل أهداف الإرهابيين عن الإسلام ولكن الأصوليين يوازونهم بالإصرار على الحفاظ على الصلة بين الاثنين.

بالنسبة للعديد من قادة الفكر الغربيين فإن الهدف من التصدى للإرهابيين ومنع الصراع من أن يتحول إلى «صدام الأديان» وتفنيد تأويل الأصوليين للإسلام قد جعل أكثر ما ينصح به هو دعم الموروثات الحميدة فى الإسلام- ولكن ما هى بالضبط هذه الموروثات الحميدة التى يتعين علينا أن ندعمها ونشجعها؟ وما هوالهدف العقلانى الملموس؟ إن تحديد وتعريف العناصر التى ينبغى دعمها واختيار الطرق الملائمة وتحديد وتعريف أهداف هذ الدعم ليس بالمهمة السهلة.

إن تعديل دين رئيسى فى العالم ليس أمراً سهلاً. فإذا كان «بناء الأمة» مهمة مرعبة فإن «بناء الدين» مهمة أكثر خطراً وتعقيداً بشكل غير قابل للقياس. فالدين الإسلامى لا هو كيان متجانس ولا هو نسق بسيط. إن العديد من القضايا والمشكلات الحديثة قد أصبحت مرتبطة بالدين بشكل معقد، والعديد من الزعماء

السياسيين فى المنطقة يسعون عن قصد أو غير قصد إلى وضع الجدل فى إطار دينى بطريقة يعتقدون أنها سوف تعزز أهدافهم.

السياق: مشكلات مشتركة وحلول مختلفة

لأزمة الدين الإسلامى الحالية مكونان أساسيان: لقد تميز العالم الإسلامى بفترة طويلة من الرجعية والهوان، فالعديد من الحلول المختلفة مثل القومية والعروبة والاشتراكية العربية والثورة الإسلامية قد باءت جميعها بالفشل وأدى ذلك إلى الإحباط والغضب. وفى نفس الوقت تباعد العالم الإسلامى عن الثقافة العالمية المعاصرة مع التحرك بشكل متزايد إلى قاع الاقتصاد العالمى.

يختلف المسلمون فى طريقة التصرف حيال هذا الوضع وسببه ويختلفون فى الشكل الذى ينبغى أن يتخذه مجتمعهم فى النهاية. ويمكننا تمييز أربعة مواقف جوهرية تصفها الفقرات التالية.

يقدم الأصوليون طرحًا عدوانيًا توسعيًا للإسلام دون خجل من العنف. فهم يريدون كسب سلطة سياسية ثم فرض رقابة عامة صارمة على اتباع الدين كما يعرفونه هم أنفسهم وفرض هذه الرقابة الصارمة على الناس فى جميع أنحاء العالم بشكل واسع النطاق. فوحدتهم المرجعية ليست دولة الشعب أو المجموعة العرقية ولكن المجتمع المسلم أو «الأمة» كما يعرفونها وكسب السيطرة على دول إسلامية بعينها يمكن أن يكون خطوة على هذا الطريق ولكنه ليس الهدف الأخير.

يمكننا تمييز اتجاهين مختلفين فى داخل الاتجاه الأصولى. أحدهما أساسه يقوم على دراسة الدين ويميل إلى أن تكون لديه جذور من نوع أو آخر فى المؤسسة الدينية وسوف نشير إلى أصحابه بالأصوليين الملتزمين التزاما حرفيا. فمن جانب الشيعة تشمل هذه المجموعة أغلب الثوريين الايرانيين، وطبقًا للتعبير السنى فإن الوهابيين الموجودين فى المملكة العربية السعودية هم أهل هذا الفريق. ومثال آخر الطائفة القبلية النشطة (Kaplan congregation) بين الأتراك المنتشرين فى الغرب وفى تركيا.

أما الفريق الثانى داخل الاتجاه الأصولى فيمثله الراديكاليون (المتطرفون) radical fundamentalists وهم أقل اهتمامًا بالالتزام الحرفى بالإسلام وهم بذلك يحصلون على مرونة كبيرة إما عن قصد أو بسبب جهلهم بالعقيدة الإسلامية. فهم عادة لا يكون لديهم أى انتماءات «مذهبية» ولكنهم يميلون إلى أن يكونوا ذاتيين مستقلين eclectic autodidactic فى معرفتهم بالإسلام. وينتمى إلى هذه النوعية القاعدة وطالبان الأفغان وحزب التحرير وعدد كبير من الحركات الراديكالية (المتطرفة) الإسلامية والجماعات المنتشرة فى جميع أنحاء العالم.

إن **الأصوليين** ليسوا مجرد ملتزمين بالممارسات الإسلامية فى الماضى ولكنهم بشكل أكثر دلالة يتوسعون فيها ويطبقون بعض القواعد الأكثر تشدداً بشكل أكثر صرامة مما كان يفعله المجتمع الإسلامى فى عهد النبوة، مع ممارسة انتقاء تعسفى يسمح لهم بتجاهل أو إسقاط آيات القرآن وأحاديث السنة الأكثر منحًا

للمساواة والأكثر إعتدالاً وتسامحًا، مع إضافة بعض القواعد الجديدة الخاصة بهم. وهذا ينطبق بالأخص على الأصوليين الراديكاليين (المتطرفين).

لا يعتنق الأصوليون جميعهم ولا حتى يوافقون على الإرهاب، على الأقل ليس نوع الإرهاب التمييزى الذى يستهدف المدنيين وكثيراً ما يقتل مسلمين بجانب العدو، ولكن الأصولية ككل لا تتآلف مع قيم المجتمع المدنى والرؤية الغربية للحضارة والنظام السياسى والمجتمع.

أما التقليديون ومن تبعهم فينقسمون أيضًا إلى مجموعتين مميزتين: التقليديون المحافظون والتقليديون الإصلاحيون. والتمييز بينهما هو ذو دلالة.

يعتقد **التقليديون المحافظون** أن الشريعة الإسلامية والسنة ينبغى اتباعها بصرامة وحرفية وهم يرون دوراً للدولة وللسلطات السياسية فى تشجيع ذلك وتيسيره. ولكنهم لا يحبذون العنف والإرهاب بشكل عام.

تاريخيًا، فهم قد تعودوا على العمل تحت ظروف سياسية متغيرة، ولقد أدى ذلك بهم إلى تركيز جهودهم على الحياة اليومية للمجتمع، والذى يحاولون فيه أن يكون لديهم تأثير وسيطرة كبيرة قدر إمكانهم حتى عندما لا تكون الحكومة إسلامية. فى النطاق الاجتماعى، يكون هدفهم هو الحفاظ على المعايير والقيم الأصلية والسلوك المحافظ إلى أبعد حد ممكن. وينظرون إلى الإغراءات وسير

الحياة الحديثة باعتبارها تفرض تهديداً كبيراً على ذلك. فوضعهم مقاوم للتغيير.

وفضلاً عن ذلك، كثيراً ما تكون هناك فروق هامة بين التقليديين المحافظين الذين يعيشون فى العالم الإسلامى أو فى العالم الثالث بشكل عام ومن يعيشون فى الغرب. وبما أن التقليدية هى موقف معتدل جوهريًا فإنها تميل إلى أن تكون توافقية مع بيئتها. ومن ثم فإن التقليديين المحافظين الذين يعيشون فى المجتمعات التقليدية يميلون إلى تقبل الممارسات السائدة فى مثل هذه المجتمعات مثل زواج الأطفال وانخفاض المستوى التعليمى وانخفاض القدرة على التمييز بين العادات والتقاليد المحلية والعقيدة الإسلامية الفعلية. أما الذين يعيشون فى الغرب فقد تشربوا الآراء الأكثر حداثة عن هذه القضايا ويميلون إلى أن يكونوا أفضل فى المستوى التعليمى وأكثر صلة بالخطاب القومى عن قضايا الأرثوذكسية الإسلامية.

ويعتقد **التقليديون الإصلاحيون** أنه لكى يظل الإسلام صالحًا وجذابًا على مر العصور فإنه ينبغى إعداده كى يقدم بعض التنازلات فى التطبيق الحرفى للأرثوذكسية فهم مستعدون لمناقشة الإصلاحات وإعادة التفسير فموقفهم هو التهيؤ الحريص للتغير والمرونة فى التفسير للحفاظ على روح الشريعة.

يسعى **الحداثيون** بنشاط إلى إدخال تنقيات هائلة فى الفهم الأرثوذكسى الحالى وفى تطبيق الإسلام. فهم يرغبون فى استبعاد العقبات التى كانت تميز التقاليد المحلية والإقليمية على مدار

العقود والتى ربطت نفسها بالإسلام. وهم فضلاً عن ذلك يؤمنون بتاريخية الإسلام أى أن الإسلام الذى كان يمارس فى عهد النبى يعكس حقائقًا ثابتة وأيضًا بعض المكونات المتصلة بالظروف التاريخية التى كانت ملائمة لذلك العصر ولكنها لم تعد صالحة اليوم. وهم يعتقدون أنه من الممكن تعريف «محور جوهرى» للعقيدة الإسلامية ويعتقدون أيضًا أن هذا المحور سوف يظل ويبقى دون تلف ليس هذا فقط بل أنه أيضًا سوف تقويه التغييرات، وحتى التغييرات الجذرية، والتى تعكس تغير العصور والظروف الاجتماعية والظروف التاريخية.

إن الأشياء التى يقيمها ويحبذها الحداثيون فى الإسلام تميل لأن تكون إلى حد ما مختلفة وأكثر تجريداً من تلك التى يقيمها الأصوليون والتقليديون. فقيمهم المحورية: أولوية الضمير الفردى والمجتمع القائم على المسؤولية الاجتماعية والمساواة والحرية تتآلف بسهولة مع المعايير الديمقراطية الحديثة.

أما **العلمانيون** فيعتقدون أن الدين ينبغى أن يكون مسألة خاصة منفصلة عن السياسة والدولة، وأن التحدى الرئيسى يكمن فى منع التعدى فى أى من الاتجاهين. فينبغى ألا تتدخل الدولة فى الممارسة الفردية للدين، وبالمثل، فإن العادات الدينية ينبغى أن تكون فى توافق مع قانون البلاد وحقوق الإنسان. ويمكن اعتبار الكماليون فى المجتمعات التى وضعت الدين تحت السيطرة الثابتة (الوطيدة) للدولة تمثل النموذج العلمانى فى المجتمعات الإسلامية.

ينبغى التفكير فى هذه المواقف باعتبارها تمثل قطاعات عن رتب متسلسلة وليست متميزة عن بعضها البعض. فلا توجد حواجز واضحة تفصل بينها، بحيث يتداخل بعض التقليديين مع الأصوليين، وأكثر التقليديين حداثة هم تقريبًا حداثيون، وأكثر الحداثيين تطرفًا هم مشابهون للعلمانيين.

لكل من هذه الاتجاهات موقف مميز بشأن القضايا الأساسية موضع الخلاف فى الجدل الإسلامى المعاصر، وتختلف هذه الاتجاهات أيضًا عند دفاعها عن مواقفها، كما يوضح هذا الفصل.

فى حوار المجتمع الإسلامى المعاصر، فإن قضايا «منهج الحياة» هى المجال الذى تحاول فيه الاتجاهات المتنازعة تأكيد ادعاءاتها وتستخدمه لإبراز سيطرتها. فالعقيدة هى المجال الذى يتم العراك عليه. وهذا يفسر بروز مثل هذه القضايا الأيديولوچية والسياسية.

إن الفائدة التى تعود فى تصوير المواقف الإسلامية المتعددة هى أنها تتسم بأساسات مميزة تمامًا وترتكن إليها فى قضايا العقيدة وأسلوب الحياة، هذه الأساسات هى التى تحدد هويتها وتعمل كعوامل تعارف مع الآخرين أصحاب العقلية نفسها، فهى تمثل نوع من الهوية أو«جواز السفر».

ومن ثم، فى حين من الممكن للجماعات أن تخفى هويتها التى تختص بشأن موقفها من العنف لتجنب المحاكمة والعقوبات، لا يكون من الممكن بالنسبة لها إنكار آرائها فى قضايا القيم

الأساسية وأسلوب الحياة. فهذه الاراء هى ما يُعرِّفهم ويجذب إليهم أعضاءً جدد.

يقبل التقليديون المحافظون صحّة ممارسات الماضى حتى عندما تتعارض مع معايير وقيم الحاضر، على أساس أن المجتمع الإسلامى الأصلى يمثل المثل الأعلى الثابت، ولكنهم لا يسعون بالضرورة إلى إعادة كل الممارسات إلى الصورة التى كانت عليها فى الماضى، ولكن كثيراً ما يعللون ذلك ليس بعدم رغبتهم فى القيام بذلك ولكن لأنهم يقيِّمون الوضع بأنه من الغير واقعى عمل ذلك سواء على المدى القصير أو على المدى الطويل. أما التقليديون الإصلاحيون فيعيدوا تأويل أو يردون على أو يعرضوا عن الممارسات التى تضفى إشكالية فى عالم اليوم. ويرى الحداثيون نفس هذه الممارسات كجزء من سياق تاريخى متغير وقابل للتغير، فهم لا ينظرون إلى المجتمع الإسلامى الأصلى أو السنوات المبكرة للإسلام باعتبارها شيئ ينبغى علينا بالضرورة إعادة تقديمه اليوم، أما العلمانيون فيمنعون الممارسات التى تتعارض مع المعايير والقوانين الحديثة ويتجاهلون الآخرين باعتبارهم ينتمون إلى نطاق خاص من الأفراد.

فالعلمانيون لا يهتمون بما يتطلبه أو لا يتطلبه الإسلام، فالعلمانيون المعتدلون يريدون من الدولة أن تضمن حق الأشخاص فى ممارسة عقيدتهم مع ضمان أن يبقى الدين مسألة خاصة دون أن يخترق أية معايير لحقوق الإنسان أو القانون المدنى، أما العلمانيون الراديكاليون بما يشمل الشيوعيين والماركسيين فيعارضون الدين كليًا.

يستمد التقليديون المحافظون معاييرهم من المصادر الإسلامية التقليدية: القرآن والسنة والشريعة الإسلامية والفتاوى والآراء الدينية للفقهاء الأوائل. ويستخدم التقليديون الإصلاحيون نفس هذه المصادر ولكنهم يميلون إلى أن يكونوا أكثر استنباطًا وأكثر اجتهاداً فى استكشاف التأويلات البديلة. فهم واعون بالصراعات ما بين الحداثة والإسلام ويرغبون فى اختزال هذه الصراعات لجعل الإسلام صالحًا فى المستقبل، وهم يسعون إلى إعادة تأويل المحتوى التقليدى، وذلك للإلتفاف حول القيود أو الأحكام التى تزعجهم أو الوقوف فى طريق التغيرات المرغوبة أو التى تؤذى صورة الإسلام فى عيون باقى العالم.

هناك تشابهات طريفة فى طريق تفسير كل من الأصوليين الراديكاليين والحداثيين لقضية التغيير. فللحفاظ على الأعراف المرعية، يشير كل منهما إلى القرآن والسنة والشريعة والفتاوى (بالطبع مع اختيار نخب مختلفة من كل من هذه المصادر). ولكن فى النهاية فإن كلاً من الموقفين توجهه آراؤه الخاصة عن المجتمع الإسلامى النموذجى. يشعر كل منهما بأنه مفوض لتعريف وتفسير القوانين والقواعد الفردية للتماشى مع آرائه. وبشكل ملحوظ فإن ذلك يعطيهم حرية أكبر بكثير للتحرك المخطط أكثر من الحرية المتاحة لدى التقليديين.

الأصوليون هدفهم هو مجتمع هرمى محكم السيطرة يتبع فيه جميع الأفراد متطلبات الطقوس الإسلامية بصرامة، فيه يتم منع

حدوث الفجور عن طريق فصل الجنسين عن بعضهما البعض، وهذا بدوره يتحقق من خلال إقصاء النساء من المجال العام، فيه تتشرب الحياة بصورة واضحة ومستمرة بالدين. هذا المجتمع يكون شموليًا فى إغفاله للحياة الخاصة، فهو يؤمن بأن مهمة سلطات الدولة هى إلزام الفرد بالقوة بالسلوك الإسلامى الأمثل فى أى مكان وفى كل مكان وبشكل نموذجى، فهو يريد هذا النظام الذى يعتقد أنه الحق الوحيد (الصواب الوحيد) ويريد له أن يتوسع حتى يسيطر على العالم كله وحتى يكون كل الناس مسلمين.

الحداثيون بدورهم يتطلعون إلى مجتمع يعبر فيه الأفراد عن تقواهم بطريقتهم الخاصة التى يجدها ذات دلالة على المستوى الشخصى، ويبتون فى أكثر الأمور الأخلاقية وفى قضايا أسلوب الحياة على أساس ضميرهم هم أنفسهم، ويسعون إلى عيش حياة أخلاقية نابعة من اقتناعهم هم أنفسهم وليس الإلزام الخارجى، ويقيمون نظامهم السياسى على مبادىء من العدالة والمساواة. ويرون أنه ينبغى أن يتعايش هذا النظام فى سلام بجانب الأنظمة والأديان الأخرى كأفراد وكمجتمعات فى صنع التغيرات والتنقيحات حتى فى القوانين (التشريعات) والنصوص الأساسية.

عندما يطرح سؤال لا تغطيه النصوص الإسلامية القديمة أو عندما يكون لا تعجبهم الإجابة التى تقترحها تلك النصوص القديمة، فإن كلاً من الأصوليين والحداثيين يشيرون - بدلاً من استخدامهم لهذه الإجابة - إلى رؤيتهم المثالية للدين ثم يبتدعون حلاً للمشكلة. مثل

هذا الابتداع غير مقبول بصورة عامة فى الإسلام، وكل منهما يسميه باسم آخر غير الابتداع.

يتحدث الحداثيون عن «المعارضة القائمة على الإيمان» على بعض المجالات الدينية، فهم يتحدثون عن «صالح (خير) المجتمع» كقيمة تتفوق فى أهميتها حتى على القرآن، وعلى (الإجماع) الذى يشرع حتى التغييرات الكبرى.

يزعم الأصوليون الراديكاليون ملكيتهم لحق الإجتهاد وهو الممارسة الجدلية للتأويل وإصدار الأحكام الشرعية أو يشيرون بشكل غامض إلى «المصالح العليا للشريعة». ولا يوجد تقليدى واحد يجادل أن نصوص العقيدة للقرآن والحديث يمكن أن تكون مناقضة لـ«روح السنة النبوية» ومن ثم يمكن إغفالها.

يوضح الجزء التالى كيف تعرف هذه التيارات مواقفها من القضايا الأساسية التى حددناها.

فى ضوء المظهر العام للانقسام بين المواقف المعاصرة فى الإسلام، فإن هذا الانقسام يظهر بالنظر إلى قضايا أسلوب الحياة والقيم. وبطريقة ما، فإن هذا هو ما يميزه بشكل أوضح باعتباره جدل قائم على الدين: فالتمييزات التى قد تبدو صغيرة نسبيًا فى المخطط الأكبر للأشياء تأخذ أهمية هائلة لأنها تدل على الولاء أو عدم الولاء، النصر أو الركود (يبقى الوضع كما هو عليه) وأوضح مثال هو «غطاء الرأس». فهو قضية هامة تأخذها العناصر الخارجية فى الاعتبار.

فعندما تظهر وكالات الحكومة الأمريكية أنها توافق رسميًا على غطاء الرأس، على سبيل المثال، حيث تعتبره شأنًا صغيراً يتعلق بالخيار فى نوعية الزى ويمثل وسيلة غير مكلفة لها كى تبرز تسامحها (تحملها للآخر)، فإنها فى الحقيقة دون قصد تتخذ موقفًا رئيسيًا فى قضية محورية رمزية محل جدل واسع النطاق. فهى تضع نفسها فى توازى مع الطرف المتشدد لتقف بجانب الأصوليين والتقليديين المحافظين ضد التقليديين الإصلاحيين والحداثيين والعلمانيين.

المواقف من القضايا الأساسية

الديمقراطية وحقوق الإنسان

يمكن أن نجد أمثلة لموقف الأصوليين الراديكاليين من قضايا النظام السياسى فى مطبوعات وعلى الإنترنت فى إصدارات الحزب الإسلامى وحزب التحرير على سبيل المثال لا الحصر.

طبقًا للحزب الإسلامى، فإن البرلمانات وغيرها من المؤسسات الديمقراطية هى: صور واضحة وملحوظة من الكفر والشرك، بمعنى إيجاد شركاء لله(من خلال إسناد السلطة التشريعية للأشخاص) وهو خطيئة لا تغتفر ومعارضة للغرض من الخلق.

والهدف هو فرض النظام الصحيح وهو النظام المبنى على الدينى الإسلامى على الجميع. فطبقًا لـ Green (١٩٩٤): هذا ليس مواجهة للحضارات ولا صراع للثقافات. فالإسلام لا يعارض

الغرب، ولا أى شخص آخر، بسبب الانتقام لعداءات الماضى والنابع من الرغبة فى استعادة الكبرياء المجروح أو بسبب الرغبة فى اكتناز ثرواتهم وأراضيهم. فالمعركة تكون لغرض واحد فقط وهو إقامة دين الإسلام فى بشموله... فللجهاد ثلاث خصائص. المرحلة الأولى هى اكتساب الإيمان الصحيح (الحق) ولتجريد النفس من جميع الشكوك والشبهات الخاطئة.. والمرحلة الثانية هى..تحرير أراضى المسلمين من سيطرة أعدائهم... والمرحلة الأخيرة هى القتال من أجل فتح الطريق لتأسيس حكم الله فى أرض الكفار.

وبالمثل يصف حزب التحرير نفسه بأنه «حزب سياسى أيديولوچيته هى الإسلام، وبذلك تكون السياسة عمله والإسلام أيديولوچيته.. وذلك لاستعادة الخلافة». وبالنظر إلى الحكم فإن «الدستور والقوانين ينبغى أن تكون إسلامية». فهى لا يمكن أن تكون جمهورية. فالنظام الجمهورى يقوم على النظام الديمقراطى وهو نظام الكفر.. ومصدر التشريع (النظام الإسلامى) للشريعة وليست للأمة. والمشرع هو الله. ورسوله. ومن ثم لا يسمح بالقول بأن نظام الإسلام نظام جمهورى أو التحدث عن جمهورية إسلامية.

تعدد الزوجات (والأزواج):

يقبل الأصوليون تعدد الزوجات. ولقد أعادت حركة طالبان تقديم هذه الممارسات فى أفغانستان. وكثيراً ما يكون تزويج الطفلة أحد ملحقات تعدد الزوجات، وتسود هذه الممارسة فى المجتمعات التى يحكمها التقليديون المحافظون. ولقد مارست الطالبان والقاعدة

القائمة فى أفغانستان أيضًا الزواج الإجبارى والذى يقبله القرآن فى سياق الحرب.

أما التقليديون الإصلاحيون والتقليديون المحافظون الذين يعيشون فى الغرب أو فى الدول التى لا تقبل هذه الممارسة فلا يؤيدون الممارسة النشطة للتعدد. فبعضهم ينكرون هذه الممارسة فقط لأنهم يعتقدون أن المسلمين ينبغى عليهم احترام قوانين الدولة التى يعيشون فيها. فهم ليس لديهم اعتراض على الرجال المسلمين الذين برغم وجود زوجة لهم بالفعل يرغبون فى الزواج من أخرى فى الدولة الأجنبية التى جاءوا إليها للعمل أو الدراسة، ومواقع الإنترنت للمغتربين المسلمين تمنح النصيحة للعرائس المنتظرات اللائى يجدن أنفسهن لديهن مثل هذه الأفكار. والتقليديون الأقرب إلى النطاق الحداثى والذين يعتقدون أن هذه القضية لا تستحق لازدراء والاستهجان الذى يشعر به الغرباء عن الإسلام الذين يعارضون تعدد الزوجات بشكل خالص. ولكن هناك شك فى أن القرآن يسمح بهذه الممارسة وأن محمد والقادة الأوائل للإسلام قد مارسوها. ومن ثم، فهم كتقليديين غير قادرين على إنكارها (التنصل منها) ويشعرون بأنهم ملتزمون بالدفاع عنها. ولهذا الغرض فهم بشكل عام يقدمون حجة أو أكثر من الحجج التالية لجعلها أكثر قبولاً لدى الجمهور المعاصر:

فهم يوضحون أن محمد كان له زوجة واحدة فقط خلال فترة حياته مع زوجته الأولى خديجة وخلال هذه الفترة أنزل عليه الإسلام.

ومن ثم فإن ذلك كما يقولون هو ما ينبغى اتباعه كنموذج مثالى للمسلمين.

وهم يقولون أن الزيجات المتعددة لمحمد أقدم عليها بشكل واسع النطاق كتحالفات إما سياسية أو خيرية وليست شخصية. ويوضح هؤلاء التقليديون أن بعض هذه الزيجات كانت زيجات بالاسم فقط (على سبيل الاحتمال) وكانت مصممة لترسيخ تحالف سياسى أو لرعاية أرملة أحد الأصدقاء. وهم يجادلون فى الحقيقة أن تعدد الزوجات فى المجتمع الإسلامى المبكر كان نوعًا من مشروعات الرفاهية وكان استجابة للنقص فى الرجال بسبب الحروب مما أدى إلى تضاعف عدد النساء بما يشمل العديد من الأرامل اللائى كن فى حاجة إلى من يحميهن ويجلب لهن العيش (الحماية وكسب العيش).

وآخرون يؤكدون أن ممارسة تعدد الزوجات قد حلت محل (سوء المعاملة) الأسوأ بكثير للنساء فى المجتمع الجاهل قبل الإسلام لتضع أسلوبًا منظمًا يضيق الأمر ليقتصر فقط على أربع زوجات ينبغى معاملتهن بمساواة مع ضمان حالتهن الاقتصادية والشرعية وهذا تحسين لوضعهن الذى كان قبل الإسلام.

وفى بعض الأحيان فإن التقليديين الإصلاحيين (مثل الأصوليين) يجادلون أنه يمكن أن ينظر إلى تعدد الزوجات باعتباره راحة للنساء اللائي يمكنهن التشارك فى تربية الأطفال والمهام المنزلية ومن ثم إيجاد وقت فراغ لأداء الأعمال والاهتمامات

الأخرى. وأيضًا فهم يؤكدون أن الممارسة تسمو على ما نشأ فى الغرب. فمعدل الطلاق العالى فى المجتمع الصناعى الغربى فوق كل شيء هو فعلاً مجرد صورة من صور تعدد الزيجات التسلسلى. وحيث أنه يتضمن الهجر فإنه مؤذ بصورة خاصة للنساء والأطفال الذين تتضمنهم هذه الزيجات، فى حين أن الدين الإسلامى يخول للزوجة المستبعدة (القديمة أو الأولى)واجبات مالية ووجدانية جنسية مساوية مدى الحياة.

والنساء اللائى يجدن الممارسة تضرهن على المستوى الشخصى يخول لهن شرعيًا إضافة اشتراط بند فى عقد زواجهن يمنع أزواجهن من اتخاذ زوجات إضافية، وذلك طبقًا لتفسير هؤلاء التقليديين.

وهناك حجة يستخدمها التقليديون فى أحيان كثيرة وهى الوصية بمعاملة جميع الزوجات بالعدل حيث يقولون أن هذا الشرط هو فى الحقيقة مجرد نوع من الحكمة الإلهية، حيث أنه من المستحيل تحقيق ذلك، كما يلاحظ القرآن نفسه فى موضع آخر، فإن هذا الشرط فى الحقيقة يبطل تعدد الزوجات.

ويجادل النص النموذجى كالآتى (Maqsood ١٩٩٤ب، ص١٨٢، ١٨٣):

ظل النبى علي زوجة واحدة على مدار الـ ٢٤ عام من زواجه من خديجة، وبعد وفاتها تزوج الأرملة سودة وخطب لابنة صديقه

عائشة، وبعد وفاة العديد من الرجال المسلمين فى المعارك أُعطى الرجال المسلمون تصريح الزواج حتى أربع زوجات. والنبى نفسه كانت له رخصة فتزوج ١٣ سيدة طوال حياته، وجميعهن عدا عائشة كن أرامل أو مطلقات يحتجن إلى الرعاية.

ويسمح أيضًا للرجال بتعدد الزوجات إذا كانت الزوجة قد أصبحت معتلة بدنيًا ولم تعد قادرة على رعايته أو رعاية الأسرة أو إذا أصبحت معتلة عقليًا هل يتوقع من الرجل أن يعيش باقى حياته بدون أى راحة جنسية، أم يطلق زوجته البائسة، أم يتزوج بأخرى؟ (والمؤلفة لا تفسر لماذا لا يكون العكس صحيح بحيث يفوض للزوجة الزواج بأكثر من زوج).

وبالمثل، ففى كتابه «الإسلام اليوم» والذى تلقى جائزة لوس أنچيلوس تايمز لأفضل كتاب فى العام، يكتب التقليدى الإصلاحى الأمريكى أكبر أحمد (٢٠٠١ ص١٥٢).

هناك فكرة أخرى عن حياة الأسرة من الصعب دحضها فى الغرب. إنها فكرة أن الإسلام جنة الرجل حين يمتلك كل رجل على الأقل أربع زوجات.. القرآن أعطى بوضوح تصريحًا لكل رجل بأن يتزوج أكثر من مرة، وفى ظروف معينة تكون هذه ضرورة اجتماعية.. «**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**». ولكن فى الآية التالية يضيف القرآن بنداً «**وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**». إنه شرط معسر يجعل من الصعب علي الشخص الزواج بأكثر من واحدة. فى الحقيقة فإن القرآن نفسه يقول أن تعدد

الزوجات ليس ممكنًا «**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**». وبذلك فإن الروح الحقيقية للإسلام تبدو أنها لا تؤيد تعدد الزوجات. ولكن المسلمين ليسوا تبريريين أو دفاعيين عن تعدد الزوجات،

أما الحداثيون فلا يحتاجون إلى أن يشتركوا فى مثل هذه الإفاضات. فهم ببساطة يشيرون إلى حقيقة أن «تغير العصور» يجلب تغيراً فى العادات والأخلاقيات. فما كان مقبولاً منذ مئات السنين لم يعد يعتبر مقبولاً اليوم، وبالطبع كان القرآن متحاملاً على هذه الممارسة حتى فى العصر القديم. فبدلاً من التركيز على المحدودات التى لم تعد ذات صلة فى السياق المختلف كليًا للعالم الحضرى الحديث، ينبغى علينا التركيز على جوهر دروس النبى ومثاله. حينئذ سوف نجد أنه كان يجتهد لتحقيق مساواة وعدالة وتناسق أكبر كمبادئ موجهة للتفاعل الاجتماعى، أى أنه كان مصلحًا اجتماعيًا. ومن ثم فإن تقديم الاصلاحات فى المجتمع هو حفاظ على روح الإسلام.

العقوبات الجنائية والعدالة الإسلامية:

يؤيد الأصوليون والعديد من التقليديين المحافظين القيمة الرادعة للعقوبات الجنائية الحادة للإسلام. وهذا عادة لا ينطبق على التقليديين الإصلاحيين. فهم كتقليديين لا يشعرون بالقدرة على انتقاد أو إنكار القواعد ولكنهم يبحثون عن طرق للدوران حولها.

ففى حالة السرقة على سبيل المثال، البعض يفعل ذلك عن طريق القول بأن أغلب أمثلة تلك الجريمة تقع خارج التعريف الشرعى الصارم للظروف التى قد تجيز قطع اليد. فهم يدعون أنه إذا وجدت الحاجة المادية أو الجوع أو الرغبة فى إعالة الأسرة كدافع، فإن السرقة تكون مبررة، وينبغى لوم المجتمع على الجريمة وليس الشخص الذى أجبرته الظروف المعاكسة على ارتكابها. ولكن إذا كانت السرقة مستهترة كليًا فإنها بوضوح تمثل اضطرابًا نفسيًا وهو مرة أخرى ظرف يخفف العقوبة أو يعفى مرتكب الجريمة من مثل هذا العقاب الحاد (انظر مثلاً Maqsood ١٩٩٤ب ص١٣٧).

إن طريقة حل الدول التى طبقت الشريعة الإسلامية لمثل هذه المعضلات تصور القوى النشطة بداخلها. فباكستان على سبيل المثال هى موطن للقطاع الأصولى ذى القدرة السياسية والصوت المسموع، وهى بها أيضًا فئة تقليدية ذات دلالة، وهى ترغب على المستوى السياسى إلحاق نفسها بالمجتمع الدولى الحديث. كيف يمكن للدولة توفيق هذه الأهداف فى قضية العدل الجنائى الإسلامى؟ فهجر الشريعة وقانونها سوف يعزل الأصوليين وقطاعات من التقليديين، فى حين أن قطع يد السارق ورجم الزناة سوف يؤدى إلى الإدانة الدولية ويعزل الحداثيين الوطنيين وبعض التقليديين عن باقى المجتمع. والحل هو: فرض أحكام الشريعة دون تنفيذها (أنظر على سبيل المثال Reuters ٢٠٠٢).

يمكننا أيضًا أن نطبق الاتجاه العكسى، استخراج أهداف الدولة من السياسة التى تختارها فى قانون الشريعة. فإذا كانت الدولة ليس فقط تؤيد بالقول قانون الشريعة ولكنها تفرض بالفعل الأحكام المترتبة عليها، يمكننا أن نستخلص أنها تهتم فقط بجمهور الأصوليين والتقليديين المحافظين دون أن توجه لديها الرغبة فى محاذاة نفسها مع العالم الديمقراطى الحديث.

بجانب قطع يد السارق، وفى حالات معتادى الإجرام قطع أرجلهم أيضًا (معتادى السرقة)، يفرض قانون الشريعة حكم الموت على جريمة الزنا والجلد لإرتكاب الفحشاء. وهذا ليس محلاً للجدل بين الأصوليين أو التقليديين المحافظين المقربين منهم - ولكنه ينبغى أن يكون محلاً للجدل لأن هناك غموضًا ذا دلالة فى القرآن عن هذه القضية.

فبخصوص معاملة الزانيات من النساء يقول النص القرآنى «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً».

ويمكن تأويل ذلك بأنه يعنى أن النساء ينبغى عزلهن وإمساكهن فى البيوت حتى تتوفى كنتيجة للاختناق أو الجوع، ولكن فى مقابل ذلك، يمكن تأويل الآية بأنها تتطلب حجزهن الإنفرادى مدى الحياة حتى وفاتها وفاة طبيعية. ولا يوجد أى مثال مسجل عن توقيع العقوبة بهذا الشكل فى أى من التأويلين يتم تنفيذها فى أى دولة

إسلامية برغم وضوح القرآن فى إصدار هذا الأمر. ولكن النساء (والرجال) الذين أدينوا بجريمة الزنا كان يتم قطع رءوسهم أو رجمهم أوضربهم بالرصاص، وكان الرجم هو الطريقة الشائعة.

وأكثر فرص الهروب شيوعًا بالنسبة للتقليديين المحافظين والتقليديين الإصلاحيين تشير إلى قواعد الإثبات (البرهان أو إثبات التهمة).

فتهمة الزنا تتطلب أربعة شهداء مسلمين. والنص نفسه لا يحدد ما قد رآه هؤلاء الشهداء بالضبط. ويقول الفقهاء السلفيون بشكل عام أنهم ينبغى أن يكونوا قد رأوا الفعلة نفسها وليس مجرد دليل قرينى أدى بهم إلى اعتقاد أنها يحتمل أن تكون قد حدثت. وهذا بوضوح يعطى مساحة ذات دلالة للمدعى عليه.

إن الأصوليين ليسوا عادة مقيدين بهذه القاعدة، بما يبين أنهم بالفعل خارج حدودالسلفية، على سبيل المثال لم يكن هناك أى شهود على الإطلاق فى حالة المرأة النيجيرية التى حكم عليها بالإعدام مؤخراً عن جريمة الزنا.

ففى حالتها التى أنجبت فيها طفلاً برغم أنها لم تكن متزوجة تم الاكتفاء بالولادة كبرهان أو دليل لإدانتها. وقد تم ذلك على الرغم من أنه لا آيات القرآن ولا أى من آلاف الأحاديث قد ذكر مثل هذا البرهان برغم أن نفس هذه الملابسات من المؤكد أنها قد وقعت بأى حال من الأحوال فى خلال السنوات الطويلة الماضية. على أى حال فإن هذا الحكم يتناقض مع الوصية القرآنية «لا تضار والدة بولدها».

بالنظر إلى هذه الآية لا يكون من الصعب تفسير هذه الآية لتعنى أن المرأة ألا ينبغى أن يحكم عليها بالإعدام بسبب طفلها.

ولكن الأصوليين كما ذكرنا من قبل لا تقيدهم الأدلة الحرفية للإسلام. وأبرز مثال على ذلك هو حركة الطالبان. فهم ينفذون الحكم بالإعدام على النساء رميًا بالرصاص - وهى عقوبة بالتأكيد لا تتفق مع التشريع الحرفى للإسلام الذى نشأ قبل عصر البنادق. وكان الطالبان أيضًا ينفذون حكم الإعدام فى الشواذ المثليين فهم يبتعدون فى هذه الحالة من جهتين من جهة عقوبة الموت ووسيلة تنفيذ هذه العقوبة: فهم يربطونهم فى جدار ويسيرون عربة بلدوزر عليهم كى تسحقهم حتى الموت (أنظر أحمد رشيد ٢٠٠٠ و Amnesty International ١٩٩٩). ويقول القرآن «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما». والآية القرآنية لا تذكر طبيعة العقوبة ولكن لا يمكن أن يكون يالسحق لبلدوزر، ولا يبدو أن ضحايا الطالبان قد تم إعطاؤهم خيار «التوبة» وهم رفضوه.

يصف قانون الشريعة الجلد كعقوبة لجرائم مختلفة مثل تناول الخمر. إن الرأى العام الدولى لم يعد يعتبره صورة متحضرة من صور العقاب.

مرة أخرى لا يمكن للتقليديين تغيير حقيقة أن القانون الإسلامى (الشريعة) يطالب بوضوح هذه العقوبة. فهم يمكنهم فقط البحث عن حجج تجعلها بصورة ما أكثر قبولاً.

وكما تقول المؤلفة التقليدية الإصلاحية رقية مقصود (١٩٩٤م

ص١٣٨): هناك قواعد شتى تحكم تطبيق الجلد الإسلامى. فهو ليس مجرد الضرب المبرح الذى يتم إيقاعه بشكل هوائى... بل ينبغى تطبيقه فى رقابة طبقات للعدل وبأرق طريقة ممكنة فى الظروف تبعًا لقائمة طويلة من الحيثيات بما يشمل الإرجاء عندما يكون الشخص مريضًا وألا يلمس الوجه أو الرأس أو الأجزاء الخاصة فى الجسم وأن تكون النساء فى كامل ملابسها ومسموح لها بالجلوس وألا يتم فى أيام الحرارة أو البرودة الشديدة وما غير ذلك.

وكما هو الحال فى حالة الزنا، يمكننا أيضًا تقليص الفرص التى سوف يتم فيها تطبيق العقوبة الغير مرغوبة بواسطة إضافة عبء البرهان أوإثبات التهمة. على سبيل المثال فإن عدداً من الأحاديث تطالب المؤمنين بعدم التجسس على بعضهم البعض أو فضح الآخرين أو محاولة تصيد أخطائهم. ويمكن استخدام هذه الأحاديث للقول بأن شرب الفرد للخمر فى خصوصية فى بيته ينبغى ألا يعاقب عليه حيث أنه لم يكن ليكتشف فى المقام الأول ما لم يكن الشخص قد بدأ باختراق الوصية التى هى ضد الفضول والتجسس.

الأقليات:

إن دراسة النصوص القرآنية حول التعامل مع الأديان السماوية الأخرى هى صورة تؤدى إلى الارتباك. فالقرآن يحتوى على العديد من العبارات العدائية لليهود والنصارى، ولكنه يحتوى أيضًا على بعض العبارات الطيبة. ولقد كان ذلك يفسر بالإشارة إلى الظروف

التاريخية حيث كان المجتمع الإسلامى الأول فى حرب مع هذه الجماعات.

وبصورة عامة فإن غير المسلمين الذين يعيشون تحت حكم المسلمين يفترض أن يسمح لهم بممارسة عباداتهم دون عقبات. والرجال المسلمون يتم تعليمهم السماح لزوجاتهم اليهوديات أو النصرانيات بممارسة شعائرهن بحرية. فينبغى أن تكون الأقليات قادرة على أن تكون لديها مجالسها القضائية الخاصة وتطبق شرائعها فى شئون الأحوال الشخصية. وتاريخيًا، كثيراً ما كانت مجتمعات الأقلية فى أفضل حالاتها نسبيًا فى ظل الخلافة الإسلامية.

لا يتابع الأصوليون هذا التراث ولكنهم يميلون إلى قمع غير المسلمين الذين يعيشون تحت حكمهم. فالجماعات الإرهابية الأصولية قد هاجمت الكنائس فى باكستان وقتلت المصلين فيها. وفى السعودية لا يمكن للمسيحيين واليهود أن يؤسسوا الكنائس أو المعابد اليهودية ولا يمكن لهم الاحتفال فى أجازاتهم الدينية (عطلاتهم الدينية).

فرضت حركة طالبان قواعدها على الجميع. وعندما تبنت حركة الطالبان التأويل الوهابى بأن النساء ينبغى ألا يسمح لهن بقيادة السيارات، فقد طبقت ذلك أيضًا على النساء العاملات مع المنظمات غير الحكومية. أما الهنود فكانوا معفين من الصلوات الجماعية المفروضة إجباريًا ولكن لقاء تمييزهم حيث كان يفترض ارتداؤهم لرقع صفراء تميزهم عن غيرهم.

ويميل التقليديون إلى أن يكونوا متفاهمين برغم أن أهدافهم هى تأسيس المجتمع الإسلامى وتشجيع الهداية على المستوى النظرى حيث يرون أنه ينبغى تنفيذ ذلك بواسطة القدوة الحسنة والإقناع وليس الإكراه.

زى المرأة

على أساسات موضوعية بحتة، من المدهش أن قضية الحجاب قد نجحت فى بلوغ مثل هذا القدر الكاسح من الأهمية، وذلك لأن القرآن بعلانية لا يؤيدها. فالقرآن يتطلب زيًا معتدلاً وسلوكًا معتدلاً لكل من الرجال والنساء. وهو لا يحدد ماذا يعنى ذلك فى أزياء الملابس ولكنه يضع إرشادين: العرف المحلى ومركز الشخص فى الحياة أى عمله أو عملها. فقط مجموعة محدودة جداً من النساء وهن زوجات النبى كان يطلب منهن تغطية أنفسهن بالحجاب بمعنى الكلمة وهذا الشرط متضمن فى أحد الأجزاء الأخيرة من القرآن بخطاب بالتحديد كيف يختلف موقفهن عن موقف باقى المؤمنات. فهن يطلب منهن التبصر فى ظروفهن غير المعتادة وقبول قيود استثنائية ومنها عدم الزواج مرة أخرى بعد وفاة النبى وارتداء عباءات ساترة خاصة وفى المقابل يعدهم الله «بمضعفة الثواب» الذى يعطى للبشر العاديين.

يبرز هذه النقطة الحداثيون والتقليديون الإصلاحيون الأكثر تقدمًا وهم يبرزون أيضًا التفسير المذكور فى القرآن والحديث لقواعد الزى:

فالأشخاص المعتدلون يفترض أن يتجنبوا جذب الانتباه الخاص وفى حين أن الحجاب ليس زى الأغلبية فهو يحقق العكس أى يجذب النظر إليهن فهو يجذب انتباهًا خاصًا للمرأة يتسبب فى أن يحملق الأشخاص فيها، وأخيراً فهم يشيرون إلى رسالتين أساسيتين فى القرآن: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ و﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ والضغط على النساء كى يرتدين نمطًا معينًا من الزى لم يخترنه بحرية، وتقييد قدرتهن على العمل، والتمييز ضدهن ومعاملتهن بعدائية، والتسبب فى تأثير سلبى على راحتهن وصحتهن، كل هذا لا يتناغم مع تلك الوصية.

أما الأصوليون الملتزمون بنص الكتاب والتقليديون فيدخلون فى مجادلات مطولة بشأن قضية زى المرأة، مع وزن جميع ملابسات الحجج المختلفة قبل إصدار أى نوع من الحكم. وتنتشر مواقع الإنترنت التى يقص فيها الأشخاص بحثهم المطول الذى استغرق سنوات والذى اشتركوا فيه فى هذه القضية وأيضًا وصف الفتيات لأسباب قرارهم بارتداء أو عدم ارتداء الحجاب وتصريحات الخبراء الدينيين المختلفين.

أما الأصوليون فيتجاهلون الجدل والآراء المختلفة، فالقضية بالنسبة لهم منتهية والحجاب فرض. إحدى العلامات المميزة للممارسة الدينية الأصولية هى طريقتهم فى إنتقاء عدد من السلوكيات. وبشكل نموذجى فإن إصداراتهم فى هذا الموضوع سوف تذكر السورة التى تحث ﴿قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ ولكنهم

سوف يتركون باقى الجملة والتى تطلب بصورة مطابقة ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ ولكن فى حين أن الجزء الأكبر من عبء الحفاظ على «الأخلاق العامة» يقع على النساء واللائى عليهن أن يقبلن بالزى المقيد والإقصاء من الحياة العامة، فإن الرجال الأصوليين ليسوا معفيين كليًا وكما يوصى موقع الإنترنت للأصولى الاسترالى نداء الإسلام، ينبغى تعليم جميع الأطفال الشعور بالقلق فى وجود الجنس الآخر والخجل من أجسادهم (Islam ١٩٩٨):

ينبغى أن نتخذ النبى قدوة: روى أبو سعيد الخضرى أن النبى كان أكثر حياءً من العذراء فى خدرها (البخارى). وإذا رسخنا ذلك لدى الأطفال فى سن مبكرة، حينئذ فحينما يكونوا فى جوار الجنس الآخر فإنهم سوف يشعرون بالحياء ومن ثم لن يتصرفوا بشكل غير لائق.

هذه المسلمة - أن الشخص المطبع اجتماعيًا بأن يشعر بالردع أو القلق من الجنس الآخر يكون أكثر ميلاً للتصرف بشكل لائق فى هذا الجانب عندما يصبح بالغًا - تعتمد بوضوح على تعريف الشخص لما يمثل سلوكًا لائقًا.

وعلى أى حال أصبحت قضية الحجاب قضية ذات إطار سياسى إلى حد كبير وكما يذكر أحد الخبراء:

أصبح الحجاب رمزاً للتقليديين والأصولية. وبذلك فإنه يدخل فى الإطار السياسى وتستخدمه الجماعات المعارضة للغرب من تركيا

حتى ماليزيا وفى داخل العالم العربى. وينبغى على الحكومات الغربية وبالأخص الولايات المتحدة أن تمتنع عن الإشارة بأى شكل إلى «حق المرأة فى ارتداء الحجاب» كحق ديمقراطى بسيط. فالموضوع أكبر من ذلك، والرسالة الخفية خلف الحجاب خطيرة جداً.

السماح للأزواج بضرب الزوجات

ليس للأصوليين مشكلة هنا. ففى حالة الأصوليين الراديكاليين فإن هذا يناسب رؤيتهم الهرمية للمجتمع ونموذجهم فى تبعية المرأة. أما الأصوليون الملتزمون بنص الكتاب فيجدون ذلك يتفق مع اتجاههم التنظيمى الشامل فى السلوك الإنسانى، والذى يشمل مؤسسات مثل الشرطة الدينية المسلحة بالسياط والعصيان والتى تجوب الشوارع لمراقبة طول شعر الرجال وملاحظة المصلين ومراقبة عدم وجود طلاء الأظافر على أصابع السيدات وما شابه ذلك.

ويقبل التقليديون المحافظون أيضًا هذه الممارسة لكنهم يحاولون التمييز بين التدخل الإرشادى الخيرى والذى نادراً ما يتم توظيفه ويهدف إلى تصحيح السلوك الخاطىء للزوجة «لصالحها» وهو التدخل المطلوب والممارسة الانتهاكية للعنف المنزلى وهو اتجاه غير مقبول.

عادة مالا يؤيد التقليديون الإصلاحيون هذه الممارسة ولكنهم يبحثون عن مبررات وتأويلات بديلة وها هو النص:

﴿ واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ !!

تمنح الآية القرآنية غموضًا فى موضعين فى «التعبير» الذى يحدد ما هو نوع السبب الذى يمكن أن يبرر مثل هذه الاستجابة وفى المصطلح الذى يصف الاستجابة ذاتها. البعض يرتكن إلى الغموض الأول ويجادل أن هذه الآية تطبق فقط على الأخطاء الكبرى. ففى حين أن هذه الأخطاء تبقى غير محددة فى النص فإن معاصرى محمد دون شك كانوا يعرفون معناها، وهؤلاء يجادلون أن المصطلح (التعبير) العربى المستخدم لوصف الخطأ الذى ارتكبته الزوجة هو أقرب إلى «الثورة أو التمرد» من «العصيان أو عدم الطاعة»، ويقترحون أن ذلك المصطلح «النشوز» ربما يكون قد استخدم ليعنى أن يشير إلى الارتداد عن العقيدة «أو إلى النشاط السياسى الهادم (المخرب) من جانب الزوجة.

ويركز بعض المؤلفين على المصطلح الغامض الثانى وهو الضرب. فالسلطات التقليدية يمكنها أن تحرر العديد من المقالات التى تناقش فيها المصطلح بالضبط وتستخلص أن النص لا يعنى فى الحقيقة «الضرب» أو حتى «الخبط» ولكن ينبغى تأويله باعتباره يعنى «القرع أو الدق الخفيف» (Rauf ٢٠٠٢) ويقوم القرضاوى بالتوجيه أنه يمكن ضرب الزوجات ولكن ليس على الوجه. والإصدار الإسلامى الأمريكى «آفاق الإسلام» فى قضية خاصة مخصصة للعنف المنزلى يقترح بكل جدية أن التطبيق الصحيح لهذه الآية القرآنية هو للزوج كى يعطى الزوجة الضالة دقات قليلة «بالمسواك» وهو نوع من أدوات تقليم الأسنان. ويستخلص الكاتب أن تلك

طريقة معتدلة ومعقولة وتكريمية تحترم فيها كرامة الزوجة (AbuSulayman ٢٠٠٣ ص٢)، لن نتمكن من ابتداع إيضاح لعدم قدرة التقليديين الإسلاميين، حتى التقليديين الإصلاحيين، على مواجهة تحديات الحداثة، أفضل من نص مثل الآية السابق ذكرها والتى تعرض بحماس مشهد رجل يحل الصراع والجدل بواسطة ضربه زوجته بفرشاة أسنان كمثال للعلاقة التكريمية.

أما بالنسبة للحداثيين مرة أخرى فهذه القضية ليست مشكلة. مثل العهد القديم، فإن القرآن يشمل محتوى لم يعد ذا صلة بالحاضر ولا توجد حاجة لنضال فيه. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يتشككون فى صحة هذه السورة ككل حيث أنها تتناقض مع ما نعرفه عن اتجاهات وسلوك النبى والآيات الأخرى فى القرآن ومجموع الأحاديث التى تتناول العلاقة الزوجية والسلوك الملائم للزوج تجاه الزوجة. فهناك أحاديث عديدة ترفض العنف الزوجى وهذه الأحاديث لا تجد طريقها إلى مواقع الإنترنت للأصوليين والتقليديين المحافظين، ففى أحد الأحاديث، يؤكد النبى أنه من غير اللائق ومن البدائى ضرب شخص تنوى فى المستقبل أن تكون لك علاقة وطيدة معه مرة أخرى. ومقولة شهيرة للنبى وهو على فراش الموت فى نهاية حياته يحذر فيها الرجال بأن «يخشوا الله فى معاملتهم للنساء» وأخيراً نظرات للتفحص المكثف والتدقيق فى الحياة الخاصة للنبى من جانب معاصريه، فإننا لدينا عدداً من النوادر المتعلقة بخلافاته مع زوجاته. فمن هذه القصص نعرف أنه

عندما يصبح غاضبًا كان يعبر عن ذلك من خلال ملاحظات تهكمية ويتجهم ويشتكى إلى والد زوجته ومرة على الأقل انسحب إلى طابق مختلف فى المنزل لمدة شهر كامل.

لم يتم تسجيل القرآن إلا بعد وفاة النبى. بعد ذلك تم تجميعه بواسطة جمع العديد من القطع للحاء الأشجار أو النرد والذى كان يسجل عليه شهود نزول آيات القرآن بواسطة الأفراد الذين كانوا يحفظون سور معينة ويقومون بإملاء النص من ذاكرتهم بأفضل استرجاع ممكن. ولقد نتج عن هذا المشروع فى النهاية إنتاج روايات عديدة للقرآن اختلفت عن بعضها البعض. وفى النهاية، فلمنع الفتنة أو النزاع تم التخلص من جميع الروايات فيما عدا رواية واحدة (انظر Parwez ٢٠٠٢) فمن المعروف بشكل واسع النطاق فقدان سورتين على الأقل فى تلك العملية ويوضح الحداثيون أن البعض أيضًا ربما يكونوا قد غالطوا أو رووا دون دقة. ولكن بالنسبة للتقليديين الذين يبجلون القرآن باعتباره لا يخطىء (منزه عن الخطأ) ويقدسون كل حرف من حروفه وحتى الورق المطبوع عليه، فإن هذا التصور هو اللعنة.

***

الجدول (١)

«القضايا المميزة» والمواقف الإيديولوجية الرئيسية منها فى الدينى الإسلامى

الاصوليون الراديكاليون

الديمقراطية: مذهب خاطئ حيث أن السلطات وحق التشريع هو حق لله وحده.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: هى مفاهيم مغلوطة **تؤدى إلى** الفساد. فالتطبيق الكامل للشريعة يخلق الخير والمجتمع الصحيح.

تعدد الزوجات: مسموح به ولا يوجد فيه شىء خطأ فهو يسمو على الانحلال الغربى والطلاق المتسلسل.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: هى طريقة ممتازة لتحقيق العدل السريع والرادع.

الحجاب: ينبغى على النساء أن يرتدين العباءات الإسلامية والتى تستر الجسد كله عدا الوجه والكفين ولكن فى أماكن معينة تخفى حتى الوجه والكفين. وغطاء الرأس هو أدنى شىء مقبول. ووظيفة المجتمع هى تأكيد التزام النساء بهذه القاعدة من خلال الإقناع والضغط والتربية والإجبار وينبغى على الرجال أيضًا الانصياع بشكل منظور لإطلاق اللحية وقص الشعر.

ضرب الزوجات: مسموح ومفيد لضبط سلوك النساء وللحفاظ على الهرمية فى الأسرة.

وضع الأقليات: يتم تحملهم ولكن لا يسمح لهم بممارسة دينهم أو ثقافتهم بأى طريقة مرئية ومن ثم يكون من المقبول التمييز ضدهم. وهذه الأفضل لهم أن يهتدوا.

الدولة الإسلامية: الدولة الإسلامية ينبغى أن تكون عالمية وفائقة فى قوميتها فهى ينبغى أن توجه كل السلوك وتسيس تلك الأشياء مثل الصلاة وطول اللحية والزى. وأى شأن لا تغطيه قاعدة بشكل صريح يتطلب نصح وإرشاد السلطة الدينية.

المشاركة الشعبية للنساء: ينبغى أن يكون هناك أقصى فصل للنساء عن الرجال. وينبغى استبعاد النساء من المجال العام لأقصى حد ممكن.

الجهاد: هناك مستويات مختلفة من الجهاد ولكن الكفاح المسلح لتأسيس النظام الإسلامى العالمى والكونى هو فريضة على كل من هو قادر بدنيًا على المشاركة وهذا يمكن أن يأخذ شكل القتال الكلاسيكى أو الإرهاب والتمرد.

المصادر: القرآن والسنة والأئمة والكتاب الراديكاليين التابعين للرؤية الشاملة للمجتمع الإسلامى الورع.

الأصوليون السلفيون

الديمقراطية: الإسلام صورة من صور الديمقراطية. وليس للغرب حق تعريف الصورة التى ينبغى أن تتخذها الديمقراطية

والصورة الإسلامية سامية وفائقة لأنها ترتكن على الدين الوحيد الحق والكامل.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: يحتاج البشر إلى التوجيه والضبط ولكن بشكل معقول وعادل كما هو محدد فى السنة والقرآن.

تعدد الزوجات: مسموح كطريقة لتعزيز الأخلاق العامة والفردية ولكن ليس من أجل الانهماك الذاتى فيه.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: حقة وصحيحة ولكن قد ينبغى تنفيذها بحصافة حيث أنها لم تعد تتماشى مع الرأى العام العالمى ومن ثم يمكن أن تكون مضرة لصورة الدول الإسلامية.

الحجاب: الغطاء الإسلامى مطلوب للنساء وينبغى إجبارهن عليه.

ضرب الزوجات: يسمح به القرآن ولكن مسموح به فقط كتدخل تقويمى حسن النية لتصحيح سلوك الزوجة الضالة من أجل صالحها وصالح الأسرة والمجتمع.

وضع الأقليات: يتم تحملهم طالما لم يشتركوا فى أنشطة تبشيرية.

الدولة الإسلامية: الإسلام ممكن على أساس الدول الفردية، برغم أن الأمة متعددة القوميات تظل النموذج المثالى.

المشاركة الشعبية للنساء: أصولية الشيعة على الطراز الإيرانى. ينبغى أن تلعب النساء دوراً نشطًا فى المجتمع والحياة السياسية، وأعلى المراكز فى العدل والحكومة تقتصر على الرجال. بينما يختار السنة الرجل ليكون قائمًا بجميع الأدوار السياسية. ويمكن أن تكون المرأة نشطة فى المجالات المتعلقة بالأطفال والأمور الاجتماعية.

الجهاد: يتباين تعريف الجهاد من شخص لآخر. فبالنسبة للنساء فإن ميلاد الطفل هو شكل من أشكال الجهاد. ويشمل الجهاد النضال من أجل الخير الروحانى الشخصى. وبالنسبة لبعض الجماعات تحت بعض الظروف فهو يشمل الكفاح المسلح بما يتضمن الإرهاب.

المصادر: القرآن والسنة والفلسفة الإسلامية والعلم والتأويل البحثى والدعاة والأئمة.

التقليديون المحافظون

الديمقراطية: هناك مساحة معينة للوسائل الديمقراطية فى تأويل الممارسة الإسلامية وفى حياة المجتمع وفى قطاعات معينة من الحياة العامة.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: الإسلام إذا تم تطبيقه بطريقة صحيحة يعطى أفضل صورة لحياة البشر. فالمساواة والحرية مفاهيم خاطئة. وبدلاً من ذلك يعطى الإسلام كل شخص ما يناسب موقفه ومركزه وطبيعته.

تعدد الزوجات: مسموح تحت ظروف معينة ويتضمن المعاملة العادلة لجميع الزوجات وفقط إذا سمح به القانون المحلى. ولكن الاكتفاء بزوجة واحدة هو الأسمى.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: ينبغى أن تستخدم إذا كانت الدولة تتبع قانون الشريعة وهذا ما ينبغى على الدول المسلمة القيام به. فعقوبة الشريعة الحادة لها تأثير ردعى جيد ولكنها كانت بنية تخفيفها بالرحمة والعفو وجهود الإصلاح والتأهيل وقواعد صارمة للبرهان (إثبات التهمة).

الحجاب: مفضل، ويمكن أن تُجبر عليه الأسرة والأقران وضغط المجتمع. ولا يوافق كل التقليديين أن الإكراه الحقيقى مقبول أيضًا. فينبغى على كل من الرجال والنساء أن تتحلى ملابسهم بالاعتدال. ويقول التقليديون فى المجتمعات المحافظة أن النساء ينبغى أن يغطين كل شىء عدا الوجه والكفين. ويقول التقليديون فى الغرب وفى المجتمعات الحديثة أن الإيشارب والملابس الطويلة تكفى.

ضرب الزوجات: نفس رأى الأصوليين الملتزمين بالنص القرآنى.

وضع الأقليات: يتم تحملهم وينبغى معاملتهم بلطف والسماح لهم بممارسة أديانهم وثقافاتهم ما لم يعارضوا الأخلاق والشريعة الإسلامية.

الدولة الإسلامية: هى الأفضل لأن الأشخاص يمكنهم حينئذ ممارسة دينهم بالصورة الكاملة. فمن الأفضل المعيشة فى داخل مجتمع إسلامى تفعل ما يقوله لك من هم أكبر منك وأسرتك والقادة الدينيون بالمجتمع.

المشاركة الشعبية للنساء: النساء مسئولات عن الأسرة وإذا قمن بواجبهن فى هذا النطاق بصورة كاملة يمكنهن النشاط فى مهن معينة وفى الحياة الشعبية للمجتمع ولكن فى وظيفة معاونة فرعية.

الجهاد: هو فى أساسه النضال من أجل الخير الأخلاقى الشخصى ولكنه يشمل الحرب نيابة عن الإسلام عند الضرورة وبالشكل الملائم.

المصادر: القرآن والسنة والعادات والتقاليد المحلية وآراء العلماء المحليين.

التقليديون الإصلاحيون

الديمقراطية: كان الإسلام فى جوهره ديمقراطيًا منذ بدايته، فمجتمع المؤمنين هو مصدر السلطات وحتى القادة الأوائل كان يتم انتخابهم بوسائل ديمقراطية.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: يتم تأويلها وتطبيقها بالشكل الأمثل والإسلام يضمن حقوق الإنسان وتلك الحريات باعتبارها خير فعلى للشخص وليست مفاهيم خاطئة تؤدى بالشخص إلى الضلال.

تعدد الزوجات: مسموح به فى المجتمعات التى تقره قانونيًا ولكن ينبغى أن يكون الاستثناء وليس القاعدة وينبغى الحصول على موافقة الزوجة الأولى. وبشكل عام يعتقد فى أفضلية الزوجة الواحدة ولكن الموقف التقليدى الدفاعى يتفق مع الأصوليين فى حجة أن تعدد الزوجات هو أفضل من الفوضى الجنسية الغربية.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: ينبغى ألا يتم استخدامها. فأكثر العقوبات شدة لم تكن أبداً هناك نية لتنفيذها عدا فى حالات نادرة جداً، فهى كان يساء تطبيقها ويساء فهمها وكثيراً ما لم يكن لها أساس قرآنى حقيقى.

الحجاب: ينبغى أن تعتدل المرأة فى زيها، ويعتمد تعريف ذلك على حياة التقليديين ويتابين من ستر الجسد كله عدا الوجه والكفين إلى غطاء الرأس وإلى عدم تغطية الرأس طالما لم ينكشف الجسد بشكل مثير.

ضرب الزوجات: لم يعد مسموحًا به وهناك شك فى أصله الدينى. فالآية القرآنية التى تجيزه قد تم نسخها والعديد من الأحاديث تعكس عدم قبول النبى له.

وضع الأقليات: يتم تحملهم وينبغى معاملتهم جيداً وتشجيعهم على ممارسة أديانهم وثقافاتهم قدر الإمكان وينبغى إشراكهم فى الحوار.

الدولة الإسلامية: هى الأفضل. وتكون الدراسات الدينية الفردية مهمة على أساس من المجتمع ذى العقلية الواحدة وتوجيه من الخبراء الدينيين.

المشاركة الشعبية للنساء: النساء هن مسئولات فى المقام الأول عن الأسرة وهو دور مهم جداً لهن ولكن يمكنهن أيضًا المشاركة فى الحياة الاقتصادية والشعبية والسياسية حيث يجلبن إليها منظوراً نسائيًا إضافيًا. ويمكنهن تولى مناصب عليا كما كان النساء يتولين خلال عهد النبى محمد. فى رأى البعض يستثنى من ذلك منصب رئيس الدولة.

الجهاد: هو نضال من أجل الخير الأخلاقى الشخصى. فقط فى ظروف استثنائية جداً مثل صراع الحياة أو الموت من أجل بقاء العقيدة عند مهاجمتها فإن ذلك يتضمن الإلزام بالاشتراك فى الحرب المقدسة.

المصادر: القرآن والسنة وتوجيه تنسيق واسع النطاق من الباحثين (بما يشمل الفلاسفة العلمانيين) والقوانين الحديثة والقواعد الأخلاقية والاتفاق المجتمعى.

الحداثيون

الديمقراطية: يحتوى الإسلام على مفاهيم ديمقراطية ينبغى كشفها.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: يحتوى الإسلام على المفاهيم الأساسية لحقوق الإنسان والحرية الفردية بما يشمل حق ارتكاب الخطأ.

تعدد الزوجات: غير مسموح به. فهو ممارسة مبتذلة مثل تلك الموجودة فى أديان أخرى، هذه الممارسة المبتذلة لم تكن مفضلة حتى فى عصر النبى وهناك دليل على أن النبى كان يحاول دحضها.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: ينبغى ألا يتم استخدامها. فهذه العقوبات إما مبتذلة تتناسب مع الممارسة الشائعة فى ذلك العصر ولم تعد ملائمة أو تم تأويلها بشكل مغلوط فى المقام الأول.

الحجاب: الإسلام لا يطلب من النساء ارتداء أى نوع من الحجاب أو غطاء الرأس. فلا يوجد سند نصى لمثل هذه القواعد. والقرار المتعلق به يرجع إلى الفرد. وينبغى ألا نحمل النساء مسئولية الشهوات التى يمكن أن تخالج الرجال حيث أن القرآن يأمرهم بوضوح بغض البصر أى عدم الحملقة الشهوانية فى النساء، والعكس صحيح.

ضرب الزوجات: غير مسموح به فهو يبنى على تأويل دينى غير صحيح، وهو بوضوح يعارض روح المفهوم الإسلامى للزواج والعلاقات بين الرجل والمرأة.

وضع الأقليات: ينبغى معاملتهم بمساواة.

الدولة الإسلامية: لم يعنِ الإسلام أن يكون دولة ولكنه دستور وفلسفة موجهة للحياة. فالفرد عليه المسئولية فى النهاية عن سلوكه وقراراته فى سياق المجتمع المتغير دائمًا والمتذبذب فى تفكيره ومساءلته للأفراد العقلانيين.

المشاركة الشعبية للنساء: الأسرة والمجتمع خليتان هامتان فى الإسلام، وينبغى على كل من الرجال والنساء أن يتقاسما المسئولية عنها. فجميع المهن وجميع أنواع المناصب الشعبية والسياسية مفتوحة للنساء. وكان هذا هو الوضع فى عهد محمد حيث كان النساء يشتركن حتى فى الحرب فى جيش الرسول، وكان يقوم بتعيينهن كقاضيات وكن حتى فى دور الإمام فى الصلاة ليقدن الرجال فيها، وهذا بالتأكيد روح العصر اليوم.

الجهاد: مصطلح رمزى يشير إلى النمو الروحانى الشخصى.

المصادر: القرآن والسنة والفلسفة التاريخية والمعاصرة والقوانين الحديثة والدساتير الأخلاقية وذلك فى جهد لفهم الروح الجوهرية للإسلام فى سياق العصر الحديث.

العلمانيون المعتدلون

الديمقراطية: الديمقراطية أساسية وينبغى على الإسلام وهو يمكنه بالفعل أن يسير فى خط واحد معها مع الفصل بين الدين والدولة.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: يمكن للإسلام أن يحاول توجيه سلوك متبعيه، فى حياتهم الخاصة، فى حين يمكنهم التخلى عن بعض حرياتهم إذا اختاروا ذلك. ولكن فى الحياة الاجتماعية والسياسية الشاملة فإن حقوق الإنسان فائقة وكونية.

تعدد الزوجات: هو ضد القوانين الحديثة والممارسة المقبولة ومن ثم لا يسمح به.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما يشمل الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: ليست مشروعة فى أغلب الدول ولا تتفق مع حقوق الإنسان أو المعايير المعاصرة ومن ثم لا يمكن تطبيقها.

الحجاب: يمكن للمسلمين ارتداء أى زى يرغبونه، ولكن المدارس والمهن العامة والتى فيها يمكن أن يعيق الأداء أو يتعدى على حقوق الآخرين إذا رأت ذلك مناسبًا يمكنها منع ارتداء الحجاب والإيشاربات وما شابه ذلك.

ضرب الزوجات: غير مسموح به لأنه غير مشروع ويتنافى مع المعايير المعاصرة وحقوق الإنسان.

وضع الأقليات: الذوبان فى المجتمع العلمانى هو الأفضل.

الدولة الإسلامية: الإسلام دين ومن ثم فهو شأن خاص والدولة ملزمة بالسماح به ولكن المسلمين ملزمون بطاعة القانون المدنى والعرف المحلى والتماشى مع العصر الذى يعيشون فيه.

المشاركة الشعبية للنساء: التمييز غير مشروع، والمعيار المرغوب هو الحقوق والفرص المتساوية.

الجهاد: الجهاد كحرب مقدسة هو مرجع تاريخى. وهو فى العالم المعاصر يشير إلى النمو الروحانى ولكن بما أنه معرض إلى أن يساء فهمه فمن الأفضل عدم استخدام هذا المصطلح.

المصادر: القانون المدنى وحقوق الإنسان والأساسات الفلسفية للعلمانية.

العلمانيون الراديكاليون

الديمقراطية: العدل الاجتماعى أهم من الديمقراطية.

حقوق الإنسان والحريات الفردية: المساواة والعدل أهم من الحريات الفردية.

تعدد الزوجات: غير مسموح، برغم أن البعض سوف يعتبر الزوجة الواحدة أيضًا مفهومًا رياليًا للطبقة المتوسطة.

العقوبات الجنائية الإسلامية بما فيها الجلد وقطع يد السارق ورجم الزناة: الدين مغالطة (تضليل) ومن ثم لا يمكن أبداً تشريع القوانين الدينية.

الحجاب: رمز للتخلف وينبغى ألا تريد النساء ارتدائه أبداً بغض النظر عن الضغط عليهن أو إجبارهن.

ضرب الزوجات: يعكس مفهومًا مبتذلاً عن النساء باعتبارهن ملكية ولذلك لا يسمح به.

وضع الأقليات: أغلب هؤلاء المنضمين يمثلون وعيًا خاطئًا.

الدولة الإسلامية: الدين قوة رجعية فى المجتمع وينبغى دحضه.

المشاركة الشعبية للنساء: ينبغى محو جميع صور عدم المساواة.

الجهاد: خوض الحروب على أساسات دينية وفروق دينية هو شيئ فوضوى وخاطئ تمامًا.

المصادر: الأيديولوجية الخاصة للجماعة أو الحركة.

***

الفصل الثانى

إيجاد شركاء لنشر الإسلام الديمقراطى

إن الإصلاح الديمقراطى للعالم الإسلامى، وتطوير الدين الإسلامى يحتاج منا إلى جهود طويلة. فكل من التيارات التى استعرضناها تمثل تحديات وتطلعات مختلفة عندما نبحث إحتمالات تعاونهم معنا كشركاء لنا. فالمراجعة الدائمة من جهتنا من خلال الحوار الدائم معهم حول القيم المراد غرسها للتأكد من تحقيق أغراضنا فى تطوير الدين الإسلامى، والتأكد من عدم الوقوع فى أى أخطاء تؤدى إلى نتائج غير مقصودة ستحتاج إلى مجهود شاق.

العلمانيون:

برغم أن هناك بعض الغموض، فإن الديمقراطيات فى العالم الغربى تقوم على الفصل بين الدين والدولة. وهذا يؤدى بنا إلى الافتراض أن العلمانيين هم حلفاؤنا الطبيعيين فى العالم الإسلامى.

لكن المشكلة التى كانت وستظل إلى أمد بعيد، أن العديد من العلمانيين ذوى الأهمية فى العالم الإسلامى غير متحابين معنا بل عدائيين بشدة لنا على أساسات أخرى. فالأيديولوچيات اليسارية، والحركات المعادية لأمريكا ومشاعرهم الوطنية والقومية والهياكل المتسلطة ذات الخدع شبه الديمقراطية كانت بعض مظاهر العلمانية فى العالم الإسلامى حتى اليوم.

وهناك عقبة أخرى وهى أن العلمانية لا مكان لها فى العالم الإسلامى حيث أنها تتعارض مع جوهر الدين الإسلامى لما له من طبيعة شمولية تتضمن توجيهات سياسية، ولذلك فإن العلمانية لا تمثل فى العالم الإسلامى إلا أقلية ضئيلة لا ينبغى للغرب أن يربط نفسه بها.

هذه الرؤية مغالطة للحقيقة. فالأنظمة العلمانية قد نجحت فى تولى السلطة والحصول على الشرعية وحتى الشعبية، واكتسبت الحركات العلمانية قدراً هائلاً من المؤيدين. إحدى الدول الأكثر نجاحًا فى العالم الإسلامى وهى تركيا قد حققت تقدمها من خلال سياسة العلمانية التى فرضت نفسها على الجميع. وتركيا أيضًا تعطى مثالاً مذهلاً على تحول نظام الحكومة الإسلامى نفسه، وفى فترة قصيرة جداً، من كونه عثمانى مسلم عتيق إلى النظام المدنى (العلمانى) وبهذا المعنى فإن حالة تركيا هى المفتاح إلى حد ما الذى يعد ربما أكثر مما تعد به الحالة الغربية.

أحد نتائج أحداث ١١ سبتمبر هو «زيادة استعدادنا للتضحية» نحن اليوم معدون لقبول الأوضاع التى تمثل مستوى من العدائية للغرب والولايات المتحدة والقيم الغربية، واللغة العدوانية والأوضاع الشعبية التى تتخطى بوضوح المستويات التى كنا نجدها غير محتملة عندما قادها القوميون وأشباه الاشتراكيين فى نفس الجزء

من العالم فى زمن سابق. يمكننا فقط التمعن فى الطريق المختلف الذى كان من الممكن للتاريخ أن يتخذه إذا أظهرنا لبعض القوميين العرب الاشتراكيين نفس القدر من العداء الذى نحن معدون لإظهاره لبعض المتطرفين الأصوليين اليوم.

هناك مؤشرات على أن الأصولية الراديكالية، حينما لا تكون فى دور معارض ولكنها تمتلك السلطة، تميل إلى عزل قطاعات كبيرة من المواطنين بتعسف وصرامة. وينبغى أن نعزز هذه العزلة واستخدام تأثير الخبرة المكتسبة من تصرفات الأصوليين حين يصلون إلى السلطة. فالفئات المعرضة لقمع الأصوليين بصورة خاصة يمكن أن تستجيب لنا عندما تجد الحداثة والعلمانية طرقًا جذابة. وهذا يظهر فى إيران اليوم وخاصة بين الطلبة والشباب.

وفى أفغانستان فإن القطاعات التقليدية الورعة قد شعرت بالإهانة من سياسة الأصوليين «العرب» وقمعهم لهم، أما قطاعات الطبقة المتوسطة المدنية وقطاعات الشباب، والتى كانت تتمنى الحرية والتقدم، قد اتحدت فى رفضها للإسلام الطالبانى. وهذا الانقلاب قد شجع كلاً من التقليدية (فى حالة القطاعات الأكبر سنًا والريفية) والعلمانية المبتدئة (فى القطاعات الأصغر سنًا والحضرية).

يتوافق الأصوليون والتقليديون بشكل عام فى زعمهم أن القيم الغربية العلمانية هى السبب الأساسى لأغلب المشكلات الاجتماعية، فى حين يزعمون أن النظام الإسلامى سوف يضمن عودة الأخلاق الحميدة والأسر المتماسكة وانخفاض معدل الجريمة

ولكن إيران هى إثبات لعكس هذه المزاعم. فبعد عشرات السنين من تطبيق الأحكام الإسلامية الصارمة، لا تزال إيران مبتلاة بالمشكلات العصرية كأى دولة غربية «فاسدة» فإدمان المخدرات والدعارة هى مشكلات بارزة لدرجة أن الحكومة فكرت بجدية فى نشر حانات تديرها الدولة تحت سيطرة الملا كطريقة لوضع نوع من السيطرة على الموقف. فالمراهقون الهاربون وإدمان الكحوليات والخمور وارتفاع معدلات الجريمة هى مشكلات حقيقية يواجهها المجتمع الإيرانى، وفرض عقوبات الشريعة لم يحقق الردع وإجبار الدولة مواطنيها بشكل متيقظ على اتباع السلوك الإسلامى لم يمنع مثل هذه المشكلات من الخروج عن نطاق السيطرة.

إن مثال إيران يعطينا طريقة عملية بسيطة لتفنيد الإدعاء بأن حرية الديمقراطية الغربية هى المشكلة وأن الإسلام الذى يتم تطبيقه بالقهر هو الحل. إن فشل الحكم الإسلامى فى إيران ينبغى فضحه علنًا حيث أن هذه الحقائق ليست معروفة بشكل عام لجماهير المسلمين والذين يميلون إلى الاعتقاد بأن الشريعة تحقق الردع وأن تطبيق الإسلام والشريعة الإسلامية سوف تحل مشكلات المجتمع.

الأصوليون:

نحن نعرف أن الأصوليين الراديكاليين هم معادين للديمقراطية الحديثة والقيم الغربية بشكل عام والولايات المتحدة على وجه الخصوص، وأن أهدافهم العامة وآراءهم الشاملة لا تتفق مع أهداف

وآرائنا وأنهم يعارضوننا ونحن نعارضهم. فى الماضى، شعر بعض الخبراء أنه قد يكون من الممكن العمل حتى مع الأصوليين الراديكاليين على أمل إشراكهم وإصلاحهم تدريجيًا. وفى المناطق التى لا تتمركز فيها السياسة الغربية مثل أفغانستان اقترح البعض أنه ينبغى تغيير تلك المعايير المعتادة ومحاولة الوصول إلى اتفاق مع من تقلدوا السلطة مع عدم الالتفات إلى سلوكهم وتجاهله.

إن فكر ما بعد ١١ سبتمبر لم يعد يرحب بمثل هذه الرؤية، ولم يعد يمكن اقتراح هذا الاختيار بجدية كوسيلة للتعامل مع التهديد الهائل القائم حاليًا من المتطرفين الأصوليين. هناك سببان ملحوظان: لقد أدركنا أن إهمال المناطق النائية يتركها ملائمة كقواعد لأعدائنا، ولقد أدركنا أن الآراء التى كنا نفكر فيها كانت غريبة وشاذة. ومن ثم فإن الاتفاق الأدنى مع الأصوليين الراديكاليين ليس خياراً صالحًا الآن لأنهم أكثر خطورة مما توقعنا.

أما الأصوليين الأقل تطرفا (الملتزمين بنص الكتاب)، فيمكن تأجيل دورهم بحيث يمكن ألا نظهر العداء لهم فى الوقت الحالى ويمكن أن تستمر التحالفات التكتيكية من أجل اعتبارات تكتيكية أو استراتيجية. والمثال البديهى هو المملكة العربية السعودية. وستظل أى إمكانية لعقد علاقات سياسية مع السلطة فى إيران موضع دراسة واعتبار.

وبشكل ملحوظ فإن استراتيجيتنا نحو المملكة العربية السعودية

تقوم على اعتبارات جغرافية سياسية وتكتيكية واقتصادية ولا تمثل أى موافقة رسمية على ذلك النظام أو أسلوبه فى الحياة أو أيديولوجيته. لاشك أن تحالفنا مع السعودية له أضراره لأنه قائم فقط على المصالح التكتيكية وهى لها مخاطرها. فهى قد تضعف مصداقيتنا وقد تجعلنا نبدو وكأننا نفتقر إلى العزم والمبادئ. على سبيل المثال، حين كانت الولايات المتحدة تعد العدة لمهاجمة الطالبان والقاعدة فى أفغانستان وصاحبت ذلك بجهد لتفسير مثل هذا العمل للرأى العام ولحلفائنا فى العالم وشرح مدى تخلف هذا النظام القمعى وضرورة إزالته من السلطة ومنعه من الاستمرار فى الاستبداد بشعبه، كان ينبغى الكشف الدقيق للأمثلة على انتهاكات الطالبان لحقوق الإنسان لتأكيد أن الممارسات التى ندينها لا تتطابق مع ممارسات أصدقائنا السعوديين. وحيث أنه من الواضح لأى مراقب أن هذه الصداقة قوامها اعتبارات تكتيكية واقتصادية، فإن ذلك يضعف بوضوح سلطتنا المعنوية على العالم.

هناك عدد من الكتاب يعتقدون أن عدائية الأصوليين للولايات المتحدة والغرب تعكس بصورة أساسية الغضب من بعض أوجه سياستنا الخارجية أو عدم الارتياح للأوجه الأكثر تحررية للثقافة الغربية. من المهم أن نكون واعين أنه، فى حين أن مثل هذه الشئون تلعب دوراً، يمثل الأصوليون رفضًا أساسيًا وكليًا للديمقراطية والقيم الأساسية للمجتمع المدنى الحديث. فالأصولية بتعبير الناطق باسم جبهة الخلاص الإسلامى الجزائرية ترغب فى «كسر رقبة الديمقراطية».

فالقضية ليست التطبيق الناقص للديمقراطية ولا مركزيتها العرقية ولا براجماتيتها المفرطة ولا أى خلل آخر، القضية هى الديمقراطية نفسها. وكما قيل فى تجمع منظمة حزب التحرير «يقوم النظام الجمهورى على النظام الديمقراطى الذى هو نظام الكفر» (موقع حزب التحرير على الإنترنت، بدون تاريخ).

وبالمثل فإن إصدار «المفاهيم الخطيرة» (حزب التحرير ١٩٩٧) الذى نشر بشكل واسع النطاق وعلى الإنترنت بواسطة ناشر الخلافة بالمملكة المتحدة يرصد «القومية والاشتراكية والديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان والحرية وسياسات السوق الحرة» باعتبارها المخاطر والمغالطات التى يسعى بها الكفار إلى «إنهاء الإسلام» وفى فصل أخير فى هذا الإصدار يصف المؤلف الإرهاب بأنه «صورة من صور الصلاة».

إن المصادر الموثقة أعلاه يمكن أن تنسب إلى التطرف بسهولة نسبية. فمواقع الإنترنت مثل الإسلام أون لاين تمثل تحديًا أكبر. وفى حين أن المواقع الأخرى كثيراً ما تتميز باللغة الإنجليزية الركيكة واستخدام الشعارات الخالية من المضمون، فإن نصوص موقع إسلام أون لاين تظهر درجة عالية من التعليم وإتقان فائق للغة الانجليزية وتقدم كبير فى طرح المادة بمهارة. وظاهريًا لأن المادة تبدو حديثة جداً قد ننخدع ونعتبرها صورة من صور المناقشة الحداثية. ولكن هذا الموقع فى واقع الأمر هو أحد مواقع التطرف المعادى للديمقراطية وهو يتخذ موقفًا عميقًا فى عدائه للديمقراطية والفقرة التالية التى تهاجم جهود إعادة بناء الدين فى ضوء العصر

الإسلامى الجديد تساق أيضًا فى شرح قضايا أسلوب الحياة ومركزيتها فى الجدل الإسلامى القائم (Kamal Sultan ٢٠٠٢).

الأغلبية العظمى ممن يؤيدون تاريخية القرآن قد آمنوا بشكل كامل الفروض (المعرفية) والفلسفية للحضارة الغربية. فالصدام المباشر والغزو العسكرى ما هى إلا أدوات ثانوية لتغيير الثقافات وفتح الأسواق إن العادات وأساليب الحياة هى أهداف أساسية للتغير من أجل ضمان سوق مفتوح قائم على المستهلك الحر صاحب العقل المفتوح.

التأويل فقط هو الذى له دور عندما يكون الميراث الإسلامى القائم قد ترك فجوة فى التفاصيل وعندما يصبح من الضرورى تأويل النصوص. وكمثال، يعتبر المؤلف أن المناقشة مشروعة فى ما إذا كان القرآن عندما يأمر المؤمنين بالصلاة أن يتوضأوا قبلها ويقول أنهم عليهم «غسل أرجلهم إلى الكعبين» يعنى «تضمن الكعبين فى الوضوء» أم لا. فى التعبير الغربى فإن «العقل المتفتح» هو شىء إيجابى ولكنه فى هذه المقالة ملخص لما ينبغى تجنبه.

التقليديون

للتقليديين من الوهلة الأولى عدة خصائص تجعلهم يبدون جذابين كشركاء ممكنين لنا:

• هم قوى مفيدة مضادة للأصوليين فهم يتمتعون بشرعية واسعة وعامة فى أعين كل الشعوب المسلمة.

• يميلون إلى أن يكونوا فى منتصف الطريق، أكثر اعتدالاً وتأثيراً هادئاً.

• هم منفتحون وفى الحقيقة يسعون بأنفسهم للحوار بين الأديان.

• هم لا يؤيدون العنف بصورة عامة برغم أن بعضهم يتعاطف مع الأصوليين الذين اختاروا هذا الطريق لدرجة حمايتهم وتزويدهم بالموارد ومباركة أنشطتهم.

وفى حين أن الجماعات الأصولية كثيراً ما تتكون من الرجال الشباب فى الغالب، يمثل التقليديون شريحة أكثر طبيعية فى المجتمع: الأسر وكبار السن والسيدات وأطفال المدارس. وهم منظمون ولديهم قادة وهياكل مؤسسية ولديهم المكونات الجوهرية الأساسية لتمثيل أنفسهم على المستوى الشعبى: كتب وأحاديث وأحداث شعبية ومؤتمرات وروابط. فهم مرئيون ومن السهل إيجادهم.

وحيث يتضمن الإسلام عناصر تؤيد قيم الديمقراطية والمشاركة والمساواة. فيمكن التركيز على هذه العناصر واستخدامها لتبرير الإصلاحات.

ولكل هذه الأسباب فمن المغرى اختيار التقليديين كعوامل أساسية لتغذية الإسلام الديمقراطى وهذا يبدو فى الحقيقة أنه الاتجاه الذى يميل الغرب إلى اتخاذه. ولكن هناك بعض المشكلات الخطيرة جداً والتى تحول دون جعل التقليديين المحركين الأساسيين للإسلام الديمقراطى الحديث كما سوف تناقش الأجزاء الفرعية التالية.

التمييز بين التقليديين والأصوليين

كثيراً ما يكون من الصعب تمييز التقليديين عن الأصوليين. وجه الصعوبة على مستويين: فمن السهل أن نقع فى الخطأ وتصنف بعض القادة أو بعض الجماعات باعتبارهم تقليديين برغم أنهم فى الحقيقة جبهة للانتماءات الأكثر راديكالية. ولكن حتى بدون أى قصد من هؤلاء للتضليل فإن آراء وقيم الفريقين كثيراً ما تكون متقاربة لدرجة أن ما يفصل بينهما خيط رفيع جداً. يتشارك التقليديون والأصوليون فى آرائهم فى عدد كبير من الموضوعات، ويستخدم الأصوليون البنية التحتية للتقليديين (المساجد والتجمعات والمجتمعات الخيرية وغيرها) كغطاء وكمصدر للدعم.

وهناك قضايا حرجة يقترب فيها التقليديون من الأصوليين أكثر من إقترابهم من أى مجموعة أخرى. تشمل هذه القضايا الموقف من تطبيق الشريعة، والاتجاهات نحو الغرب والولايات المتحدة، والعلاقات بين الرجال والنساء، ووضع المرأة، وطبيعة النظام السياسى المثالى، وأيضًا عدد من القضايا الاجتماعية والقضائية الأساسية الأخرى.

وحتى التقليديين الإصلاحيين الذين تكون آراؤهم فى القضايا الاجتماعية وقضايا أسلوب الحياة الأكثر اتفاقًا مع الحداثة الدولية، كثيراً ما يكونوا أقرب إلى الأصوليين منهم إلى الغرب فى قضايا السياسة الدولية. على سبيل المثال فإن التقليديين بشكل عام على نطاق واسع قد أدانوا هجمات ١١ سبتمبر. ولكن لا يمكن أن يترجم

إلى إدانة ولو ضمنية للإرهاب والعنف الدولى. فالشيخ طنطاوى رئيس جامعة الأزهر والتقليدى المحافظ قد أدان قتل المدنيين والضحايا الأبرياء فى إسرائيل. ولكن تحداه يوسف القرضاوى التقليدى الإصلاحى ذو النفوذ فى قطر، والذى يتخذ موقفًا تقدميًا نسبيًا فى العديد من القضايا الاجتماعية ولكنه حاد فى قضية السياسة الخارجية «الإسلامية». فيكتب:

- الحركة الإسلامية ينبغى أن تعتبر نفسها على أتم استعداد لأىّ نداء إسلامى، فتستجيب لكل صيحة تطلب المساعدة أيا كان المكان الذى تأتى منه هذه الصيحة. فينبغى أن تقف بجانب إرتيريا فى جهادها ضد النظام المسيحى الماركسى الظالم.

- الحركة الإسلامية ينبغى أن تقف بجوار السودان ضد الثورة العنصرية المسيحية الغادرة.

- الحركة الإسلامية ينبغى أن تدعم مسلمى الفلبين ضد النظام المسيحى المتحيز الذى يسعى إلى إبادتهم.

- الحركة الإسلامية ينبغى أن تساعد مسلمى كشمير فى كفاحهم.

- فلسطين هى القضية الأولى والدائمة للمسلمين.. فهذه هى مرحلة خطيرة فى القضية الفلسطينية.. فهى مرحلة بها خطط لتحقيق الحلم القديم لإسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات ثم إلى أرض الحجاز والمدينة وخيبر.

للتداخل ما بين الأصوليين والتقليديين مكون هام ومزعج فى البنية التحتية. فكما أصبح من الواضح بشكل متزايد ومنذر فى

الأشهر التى تلت هجمات ١١ سبتمبر، هناك طمس بين هذين الفريقين على مستوى المساجد والمؤتمرات الإسلامية والمنظمات الخيرية الإسلامية. فكثيراً ما يكون الأصوليون الراديكاليون قادرون على التحرك بحرية داخل الشبكات الإسلامية التقليدية وهياكلها ومصادر دعمها كما يمكنهم استخدامها بحرية.

وهناك سد أساسى يتكون من عدم الثقة والاستنكار والعدائية يملأ اتجاه التقليديين نحو الغرب الحديث والولايات المتحدة بصورة خاصة. وهذا يجعل من الصعب تمييزهم عن الأصوليين.

على سبيل المثال، فلنتبصر فى المقالة التى كتبها محمد العاصى عندما كان إمام المركز الإسلامى فى واشنطون (٢٠٠٠). فلقد زعم فيها أن التعريف الغربى للسياسة هو تعريف ملوث وفاسد. والتعريف الإسلامى للسياسة هو تعريف نظيف وصحى. وعلى المسلمين هدم نظام الكفر وتجنب الالتحاق بالعالم الغربى المتطور والذى فيه يتم إعطاء الاستغلال الاقتصادى اسمًا جيداً تحت عنوان الرأسمالية وعمليات السوق الحر.

مضمون العاصى يجعله تقليديًا ولكن انتماءاته وأسلوبه فى التفكير يجعلنا نتشكك فى ذلك. فهو زميل لمعهد الفكر الإسلامى المعاصر فى لندن والذى يصف نفسه بأنه مركز فكرى للحركة الإسلامية العالمية. والمقالة المذكورة كتبت لمؤتمر فى كراتشى. فهى تتحدى السياسة والثقافة والاقتصاد وتظهر تجاهلاً للأرثوذكسية. وهذه كلها صفات الأصولية.

عندما يجتمع التقليديون الأمريكيون معًا فى المؤتمرات، فإنهم كثيراً ما يعبروا عن اغتراب كبير وعدائية للغرب والولايات المتحدة وعادة ما يتشاركون فى المنصة مع من يقدمون الآراء الأصولية. ففى سبتمبر ٢٠٠٢ تم تنظيم مؤتمر بعنوان «الإسلام فى أمريكا: الحقوق والمواطنة فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر» عُقد فى جامعة كاليفورنيا فى بيركلى. وقد زعم هذا المؤتمر أن «الخوف والاضطهاد» هى السمات الأساسية لحياة المسلمين فى أمريكا وهذا يبدو جزء من المبالغة فى العرض. وسامى العريان الأستاذ بجامعة جنوب فلوريدا والذى قد أوقف بالفعل فى ذلك الوقت من مركزه فى التدريس بالجامعة لاشتباه علاقته بالإرهابيين ولحديث كان يحرض فيه على موت إسرائيل ولارتباطه برأس الجهاد الإسلامى الفلسطينى كان المتحدث المميز فى المؤتمر عن «الحقوق المدنية» (locke ٢٠٠٢). وفى فبراير ٢٠٠٣ أصبح واحد من مجموعة من الأفراد المتهمين بالإرهاب.

فى حين أن العمل المخابراتى المتماسك هو فقط القادر على كشف الصلات الملموسة بين المنظمات الإسلامية والحركات المتطرفة، فإن الارتباطات بين المنصات التقليدية والدعاة الأصوليين يمكن كشفها حتى ولو بجهد سطحى.

على سبيل المثال فإن التقليديين يستضيفون عدداً من المواقع على الإنترنت المرتبطة بالمسلمين الورعين الذين يجدوا أنفسهم فى نوع من الحيرة فى قضايا أسلوب الحياة ويطلبون التوجيه.

أحد المواقع المشهورة من هذا النوع هو ourdialogue. com والذي يعمل به مستشارون مسلمون على جميع مستويات وانحاء العالم وخاصة المهاجرين والعمال النازحين الذين استبعدوا من مجتمعاتهم ويواجهون قضايا غير مألوفة. وها هى بعض المخاوف التى تحث الأشخاص على سرعة إرسال طلباتهم للتوجيه بالبريد الإليكترونى:

١ - هل يمكن للمسلم أن يكون نباتيًا أم عليه أن يأكل اللحوم كما كان يفعل النبى؟

٢ - بالنسبة لطقوس الوضوء قبل الصلاة هل من الضرورى للنساء حل شعورهن؟

٣ - إذا صادف ورأيت زوجك وهو يهم بكتابة صيغة الطلاق لطلاقك ثلاث مرات على قطعة ورق مع كتابة اسمك بوضوح فى النص ولكنه يدعى أنه كان غائب العقل ويفكر فى شىء آخر ولم يعنى ذلك حقًا، هل تكونين مطلقة أم لا.

(بالمناسبة، الإجابات هى: نعم يمكنك أن تكون نباتيًا فليس كل شىء كان يفعله النبى يكون إلزاميًا على جميع المسلمين الآخرين. لا ليس عليك حل شعرك. نعم يقع الطلاق ولكن يمكنكما الزواج مجدداً إذا رغبتما).

من بالضبط هو الذى يصدر هذه الأحكام؟ إن السؤال لا يبدو هامًا جداً لمن يبحثون عن التوجيه بهذه الطريقة والتى فى حد ذاتها تدل على الاستعداد العقلى لقبول السلطة. هذه المواقع عادة لا تهتم

برصد أسماء ومؤهلات من يراجعون الأسئلة ويقدمون الرد. فموقع «حوارنا» هذا يكتفى بملاحظة تقول إن إجابات الأسئلة يقدمها أكثر من عالم.

يستضيف هذا الموقع جماعة باكستانية apkar pk قائمة فى كراتشى والعديد من الأسئلة تأتى من الباكستانيين الذين يعيشون فى الغرب. ولكن انظر بتدقيق وتفحص أكبر ستجد أن الإجابات تأتى من المملكة العربية السعودية. فالوكالة السعودية «أخبار العرب» هى التى ترعى هذه الخدمة للمسلمين فى العالم والذين لا يمكنهم الحصول على إجابات مقنعة من العلماء المجاورين لهم.

وهناك موقع آخر Islam For today.com يعطى فى البداية انطباعًا مختلفًا تمامًا. فهوبشكل لامع وأمريكى الطراز يقدم الآراء التقدمية وحتى المتفتحة للمتأسلمين الغربيين. ورسالته تحت شعار «تحسين صورة الإسلام»، والزوار الأمريكيون للموقع هم بوضوح الجمهور المقصود الأساسى. ولكن المواقف من القضايا الأساسية هى بشكل كاسح تقليدية وحتى أصولية.

إن تتبع هذا الموقع بواسطة تتبع قائمة الرعاية ومصادره المقترحة، يجعلنا نصل إلى مؤسسة الحرمين. ولكن سوف ينتهى الأمر هنا بالطبع لأن الموقع لن يفتح حيث تم إغلاقه بعد ١١ سبتمبر لأنها منظمة متصلة بالإرهابيين.

العناصر الديمقراطية المفيدة الممكنة

إن مجموعة الأفكار التى يحملها التقليديون تشمل بالفعل عناصراً ديمقراطية. فهى قد تهدف إلى تبرير الإصلاحات ولكن دون جهد ذى دلالة. لقد أنتج التقليديون عدداً كبيراً من الإصدارات التى تصور الرؤية الأرق والأكثر» دماثة للإسلام كمواجهة للصورة السلبية للدين والتصريحات العامة للراديكاليين. وهذه الكتب بشكل عام تمتدح أوجه الإسلام الإيجابية اجتماعيًا، وتجد مبررات عقلانية وتفسيرات أكثر رقة للممارسات التى تظهر فى موازين اليوم على أنها أنواع من الاضطهاد الخالى من الرحمة، وتجادل أن الإسلام ليس فقط يتفق مع مبادئ العصر الحديث (الديمقراطية والمساواة والرفاهية الاجتماعية والتسليم) ولكنه أيضًا كان سباقًا إلى هذه المبادئ فيها.

وبجانب نغمة هذه الكتب التى تمزج بدرجات متفاوتة الدفاعية مع الاعتذارات، فإن هذه الكتابات عادة ما تحتوى على مواقف وفلسفات لا تتفق مع المجتمع المدنى الحديث.

المشكلة الكامنة هى أن الأساسات الفلسفية لكل منهما متناقضة. فالديمقراطية الحديثة تقوم على قيم التنوير، والتقليدية تعارض هذه القيم وتراها مصدراً للفساد والشر. فالتقليدية معارضة للمتطلبات الأساسية للعقلية الديمقراطية الحديثة: التفكير الإنتقادى والحل الإبداعى للمشكلات والحرية الفردية والعلمانية.

المجتمع المدنى الديمقراطى الحديث لن يؤيد قوانين الشريعة، وهو ما تتطلبه التقليدية. أمّا الحداثة فلا توافق على أحكام الإعدام لجرائم الزنا ولا الجلد وقطع اليد كعقوبات جنائية مقبولة. وهى لن تؤيد الفصل الإجبارى للجنسين ولا التمييز الشديد والفاضح ضد المرأة فى قانون الأسرة والعدل الجنائى والحياة العامة والحياة السياسية. لا يسعى جميع التقليديين إلى تنفيذ كل هذه الأشياء، ولكنهم جميعهم يدافعون عن بعضها وفى أفضل الحالات يترددون فى بعضها. إن التقليديين الإصلاحيين لا يرغبون بالضرورة فى إعادة كل هذه الممارسات ولكنهم فى نفس الوقت يقبلون المبادئ المتضمنة فيها. يعتقد التقليديون (من اسمهم) أنه ينبغى اتباع القرآن والشريعة حرفيًا وكليًا دون أن يمكن تجاهلها أبداً. وفى أفضل الحالات فهم قد يكونوا مراوغين، من خلال محاولة إيجاد مخارج واستثناءات والبحث عن الالتباسات والتأويلات البديلة الممكنة.

وبالإضافة إلى ذلك، ترتبط التقليدية بالتخلف والرجعية وهما الأسباب التى تثمر كل المشكلات الاجتماعية والسياسية بكل أنواعها. كانت التقليدية، على مدار أغلب التاريخ الحديث، هى البعد السائد للإسلام الذى يحدد طريقة هيكلة المجتمع المسلم. وقد يبدو من الأفضل اليوم بشكل مقارن أن نضعها فى تناقض مع الأصولية، ولكن تبقى الحقيقة هى أنها ولدت وحافظت على

استمرارية الفقر والرجعية والتخلف دون أن تصل إلى اكتشاف أى مخرج.

هناك دراسة كبرى حديثة لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية «تقرير التنمية البشرية للعرب» قد عرفت غياب الديمقراطية ووضع المرأة الذي يتضمن عدم المساواة وإهمال التعليم باعتبارها ثلاثة أسباب رئيسية للتخلف فى العالم العربى. فالتقليدية هى أكثر هرمية وتقيداً بالسلطة وهى إلى حد كبير تشمئز من الاندماج الاجتماعى والاقتصادى للمرأة ومشاركتها وتضع العديد من القيود عليها وهى أيضًا متحوطة من التربية العلمانية الحديثة. والمشكلات الثلاث التى حددها تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية لن يمكن حلها طالما كان التقليديون مسؤولين وطالما استمروا فى ريادة مجتمعات تتميز بهذه المشكلات الدائمة. وحتى يتم إيجاد طريق لحل هذه المشكلات، سوف تظل المنطقة عالية التوتر والتعرض لخطر الحركات المتطرفة.

خطر الانفلات المحلى

هناك خطر الانفلات المحلى في الغرب. فالتقليدية الإسلامية عالية الانتقاد للثقافة الغربية وكثيراً ما توجه لها الانتقادات اللاذعة. وذلك سوف يؤدى يومًا ما إلى وصول الشعوب الغربية العلمانية إلى نقطة لا تتمكن فيها من قبول الانتقاد القائل بأن الغرب فاسد ومنحل وأن تاريخه كان اضطهاديًا وأن اللوم يقع عليه فى الكثير من المشكلات التى يمر بها العالم، مع الحديث عن الإعجاب بالإسلام وضم مطالبه الدينية إلى العالم العلمانى.

فى الولايات المتحدة، والتى فيها تسببت هجمات ١١ سبتمبر والصدمة العامة الناتجة عنها وحالة الطوارئ المستمرة والاستعداد المستمر للحرب والإرهاب فى تحفيز التماسك المعضد والدعم لنطاق واسع من المعايير الحكومية التى تهدف إلى تحقيق الأمن، فإن الانفلات قد يكون أبطأ فى حدوثه.

أما فى أوربا فإن الناخبين والمفكرين على السواء يظهرون بالفعل رد فعل سلبى على ما يرونه اعتناقًا ساذجًا جداً للتقليدية الإسلامية من جانب بعض القادة السياسيين الغربيين.

فى الماضى كان الجناح اليمينى وحده يميل إلى التحوط من أسلوب الحياة والقيم البديلة للمهاجرين وبالأخص المهاجرين المسلمين وأن يقرر أن الأقليات من الخلفيات الثقافية المختلفة إذا لم ترغب فى أن تذوب فى المجتمع الغربى فإنها تفرض تهديداً للهوية الغربية والقيم الغربية الأساسية. وكما أظهرت انتخابات عام ٢٠٠٢ فى فرنسا وهولندا فإن هذه المخاوف قد انتشرت بالفعل إلى قطاع أوسع من الشعوب. وفى بعض الدول فإنها تتمثل فى سياسات تشريعية جديدة تتطلب معايير أعلى لمستوى الذوبان فى المجتمع الغربى بحيث تفرض على المهاجرين حضور حصص لتعلم لغات المجتمعات التى انتقلوا إليها.

ولقد بدأ المفكرون والليبراليون الأورروبيون أيضًا فى التعبير عن اهتمامات ذات صلة بهذه القضية. ففى أحد الإصدارات النموذجية

أكد ١١ كاتب من بينهم بعض المفكرين الليبراليين البارزين وقادة الرأى والخبراء فى الإسلام أن التسامح الأوربى تجاه هؤلاء المسلمين يساء استخدامه (تحمل الآخر وتحمل الاختلاف) (Schwarzer ٢٠٠٢). وبسبب الخوف والجهل وعدم الاستعداد لمواجهة الحقائق والاهتمام بإضعاف ميول الجناح اليمينى وما يدعو إليه من تغذية عدم التسامح الاجتماعى، وفى حالة الألمان، الرهبة والفزع من العنصرية الظاهرة، فإن الحكومات الأوروبية والقادة المفكرين فى أوروبا قد سمحوا بأن تصبح أوروبا قاعدة ومكان آمن للمتطرفين والإرهابيين المسلمين.

والسياسات الخاطئة أيضًا قد أنشأت بلا رجعة ضغط رجعى للإسلام على التعبير العلمانى الأكثر اعتدالاً للإسلام عن طريق السماح لأقلية صغيرة ذات صوت حاد، أقلية من المتطرفين والمحافظين، بأن تصبح القيادة العامة لهذا المجتمع. فإغفال النظر بشكل مقصود قد تحول إلى أنشطتهم التى تشبه المحرقة.، فلقد سمح لهم بإدارة شبكة من المساجد والمراكز الثقافية التى تصبح خلايا عاملة مستقلة للإرهابيين والراديكاليين وللتأثير الممتد فى التشريع والجدال العام.

فى حين أن الولايات المتحدة تبدو أنها تسعى إلى إظهار رمزى للإسلام على مستوى قضايا أسلوب الحياة، فإن لقادة الأوروبيين يبدون أكثر ميلاً لمحاولة الإظهار على مستوى القضايا السياسية التى يرونها هامة للمسلمين. والانقسام بين الولايات المتحدة وأوروب

على العراق يعزى جزئيًا إلى هذا الفرق. فالولايات المتحدة تبدو أنها تعتقد أن «الشارع العربى» سوف يهدأ إذا بدت الولايات المتحدة تقبل وتحترم الإسلام كدين وأسلوب للحياة. ويبدو الأوروبيون أكثر ميلاً للعب على وتر قطاع العامة المسلمين داخل أوروبا وفى العالم المسلم والمهتم بقضايا السياسة الأجنبية.

إمكانية إضعاف المصداقية (القدرة على الإقناع)

إن إطلاق يد العلماء التقليديين إلى درجة مفرطة يمكن أن يضعف مصداقيتنا وقدرتنا الأخلاقية على الإقناع. ويمكن أن يساء فهم التحالف المفتوح مع التقليديين وكأنه خمود وخوف.

ويحذر Bernara Lewis (٢٠٠١) من أن «الموقف القلق والاستعطافى الذى يتبناه المتحدثون الرسميون الأمريكيون «يؤدى بالجمهور المسلم إلى استنتاج أن الولايات المتحدة تتراجع وتخفف من أسلوبها.

ولكن يجادل بعض النقاد أننا ينبغى أن نتمسك بقوة بقيمنا. فنحن إذا خففنا حدة اللهجة من جانب واحد فإن ذلك يعرضنا لتآكل موقفنا الأخلاقى فى حين يقوى الموقف المعادى لنا. فمثل هذه الإشارات لا تفسر على أنها صداقة وإنما تفسر على أنها ضعف.

هذا على سبيل المثال هو الخلاصة التى وصل إليها الشيخ عبد الرحيم جرين (١٩٩٤) عندما كتب أن:

«من الملحوظ للكثير من المسلمين أن الغرب نفسه لا يعتقد حقًا

فى «الديمقراطية» ولا فى أى من تلك المبادئ المثالية مثل «حرية التعبير» و«حقوق الإنسان» وغيرها والتى يدعى أنه يؤيدها بشدة إلا عندما يكون ذلك ملائمًا لمصالحه الخاصة».

يحذر البعض بالفعل من أن الأصوات العدوانية القادمة من المعسكر الإسلامى تتحدى المفاهيم الأساسية فى حضارتنا مثل عالمية حقوق الإنسان. فهم يصرحون بأنها بدعة غربية وليست عالمية ولكنها محددة بالثقافة الغربية وهم يسعون إلى اخضاعها لشريعتهم الإسلامية (Littman ١٩٩٩).

فى السنوات الأخيرة، فإن ممثلى بعض الدول المسلمة قد طالبوا معاملة خاصة وتلقوها بالفعل فى أحيان كثيرة.. وكنتيجة لذلك فإن المصطلحات التى تفتقد الدبلوماسيلة مثل «سب الدين» قد تسربت إلى نظام الأمم المتحدة وأدت إلى موقف تقبل فيه الحكومات غير المسلمة قواعداً معينة للسلوك تتطابق مع الشريعة الإسلامية وتذعن للصمت المفروض ذاتيًا بخصوص القضايا التى تمس الإسلام.

فقواعد السلوك الجديدة الى تفرضها منظمة المؤتمر الإسلامى والتى تنتقدها الدول الأخرى تعطى من يدعون أنهم يمثلون الإسلام وضعًا استثنائيًا فى الأمم المتحدة ليس له أساس شرعى ولا أولوية، ومن ثم فإن ذلك يعطى سببًا وافراً للخوف.

إن أرجاء القيم الحديثة الأساسية على أمل استدعاء التسامح

المتبادل هو اتجاه محفوف بالمخاطر قد يجرئ القوة المعادية. ومع وجود حقيقة أن القيم الأساسية تكون موضوعًا للمهاجمة، فمن المهم بدلاًمن ذلك تأكيد وفرض قيم الحضارة الغربية على الجميع (انظر Lewis ١٩٩٠ على سبيل المثال).

احتمالية تقويض الإصلاحات

إن المبالغة فى الترحيب بمواقف التقليديين هو تدخل فى جهد الإصلاح الداخلى المستمر داخل الإسلام، وفى الحقيقة فإن مثل هذا الموقف يسيئ إلى من تتفق قيمهم بصورة خالصة مع قيمنا وهم الحداثيون.

تتفق الرؤية الحداثية مع رؤيتنا. فمن بين كل الجماعات فإن الحداثيين هم الأكثر إخلاصًا فى تبنى قيم وروح المجتمع الديمقراطى الحديث.

الحداثيون: الحداثية وليس التقليدية هى ما يناسب الغرب. ولقد اشتمل ذلك ضرورة الحيد عن وتعديل والتجاهل الانتقائى لعناصر العقيدة الدينية الأصلية. لا يختلف العهد القديم عن القرآن فى التظهير على السلوك واحتواء عدد من القواعد والقيم الغير قابلة لتفنيدها حرفيًا ولن نقول الغير مشروعة فى مجتمع اليوم. وهذا لا يفرض مشكلة لأن القليل من الناس هم الذين سوف يصرون أننا ينبغى علينا جميعًا اليوم أن نعيش بنفس الطريقة الحرفية للأساقفة كما هو مذكور فى الإنجيل. ولكننا نسمح لأنفسنا بأن

تسود رؤيتنا للرسالة الحقيقية لليهودية أو المسيحية فوق النص الحرفى والذى نعتبره تاريخًاوأسطورة. هذا بالضبط هو الاتجاه الذى يفترضه الحداثيون الإسلاميون.

هناك مؤشرات قاطعة على إمكانية تحقيق التغيير فى الإسلام. فى الحقيقة فإن بعض الحيادات الصريحة والكبيرة إلى حد ما عن المعايير القرآنية قد حدثت تاريخيًا. وبشكل ذى دلالة فإن هذه الحيادات لم تحدث كنتيجة للجدل العلمى المستهلك والذى فيه نجحت أحد الجوانب فى التفوق على جانب آخر. ولكن هذه الممارسات قد أسقطت بهدوء بدون أى جدال على الإطلاق. وأكثر الأمثلة تأثيراً هى مؤسسة العبودية. فالقرآن بصراحة ودون مغالطة يسمح بامتلاك العبيد وهذا لن يكون محل للدفاع من قبل السلطة التقليدية الأكثر متانة، وحتى الأصوليين الراديكاليين الذين يتمسكون بأكثر تأويلات الجهاد تطرفا لتبرير الإرهاب لا يقدمون أبداً حجة حول العبودية أو أنها خير وينبغى إعادتها إلى مركزها لأن المجتمع الإسلامى الأصلى كان يتورط فيها ويسمح بها القرآن. ولكن لم يتم الجدال فى هذه القضية أبداً على أساس الأحاديث. فالاتفاق الصامت قد أزالها من الديانة الإسلامية، وهذا يبين لنا أن الإسلام ليس أكثر حصانة من الأديان الأخرى الكبرى فى العالم وأن الإجماع بين الحضارات قادر على تغيير القيم بما فيها قيم الإسلام فهى قابلة للتغيير والتطوير.

للحداثة قادتها ومفكريها

يمتلك التوجه الحداثى عند المسلمين العديد من القادة والأصوات ذات الحديثية، وهم أفراد يمزجون بين أوراق الاعتماد العلمية الراسخة والمعرفة الشاملة بالإسلام والعقيدة الإسلامية ومجموعة القيم والتربية الحديثة. بعض هؤلاء الأفراد هم بارزون فى مجتمعاتهم المحلية أو فى الدوائر الأكاديمية وبعضهم يقع على الحدود بين التقليدية التحديثية والحداثة وهم أيضًا ملائمون لهذا الدور الممكن مثل مصطفى شريش المفتى الأكبر للبوسنة.

ومن بين مشاهير هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة خالد أبو الفضل أستاذ الشريعة الإسلامية فى جامعة UCLA وهو كعالم وكاتب حداثى له مكانة جيدة، تنتقد كتاباته «التبريرات الوبائية » (rampont opologetics) للتقليديين والاتجاه المتسلط الحنبلى للأصوليين أيضًا وهو يعتقد أن الموقف المريع للعالم الإسلامى المعاصر يحتاج إلى التمعن والبصيرة الناقدة والتخلى عن تصور أن الشخص عليه الاشتراك فى حرب حضارية مع الغرب.

ويؤكد محمد شحرور، مؤلف «اقتراح الالتئام الإسلامى» على حاجة العرب لأن تكون لديهم «خطة للتعامل مع القرن الحادى والعشرين» تتضمن الحرية السياسية والتعددية والديمقراطية والمساواة (Shahrur ٢٠٠٠) و يحاول Serif Mardin (١٩٩٦) التقريب بين مفهوم المجتمع المدنى والإسلام والتاريخ الإسلامى ويقدم Fethullah Gulen بعداً من أبعاد الحداثة الإسلامية المتأثرة

بقوة بالصوفية والتى تؤكد على التباين والتسامح وعدم العنف (Gulen ١٩٩٩)، ولقد ألهمت كتاباته اتباعًا قويًا متعدد القوميات وثبت جاذبيته للشباب.

وبسام طيبى هو مثال للحداثى المسلم الأوربى. فهو يطالب بالابتكار الفكرى لإسلام إصلاحى جديد يتبع قيم المجتمع المدنى الحديث وحقوق الإنسان على المستوى الدولى. وفى حالة الجاليات المسلمة فى الغرب، فإن عليها أن توافق بينى القيم لتى تستنبطها من الدين الذى يتم تطويره مع قيم المجتمعات والدول التى استضافت تلك الجاليات وسمحت لها بالحياة فيها.

لقد ولدَّت إيران المعاصرة عدداً من الخصوم الذين يمكن أن يكونوا أمثلة تحتذى أو حتى أبطال ملهمين فى مجال حقوق الإنسان، ومن خلال دفاعهم العلنى عن العقل وحق الأفراد فى صنع أحكامهم الأخلاقية الخاصة بهم فهم قد عرضوا أنفسهم للاضطهاد ولأن يصبحوا أبطال فى حركة الطلبة الإيرانية. فآراؤهم وخبراتهم ومواجهاتهم مع سلطات الدولة القمعية ينبغى أن تتلقى شعبية أكبر بكثير.

نقاط ضعف الحداثيين

على أسس أيديولوجية فإن الحداثيين هم الوسيلة الأكثر مصداقية لتنمية ونشر الإسلام الديمقراطى. ولكن فى الواقع الحالى فإنهم يعملون تحت عدد من المعوقات التى تقلل من فاعليتهم بشكل زى دلالة.

وعقبتهم الأساسية والتى هى عقبة الكثيرين هى عقبة مالية. تقف القوى ذات النفوذ خلف الأصوليين وتزودهم بالموارد الهائلة: المال والبنية التحتية والأسلحة (السلاح) ووسائل الإعلام والتحكم فى المؤسسات التربوية ومؤسسات الرفاهية.

وللتقليديين أيضًا سلطة جيدة التأسيس تشمل سهولة حصولهم على الموارد ذات الدلالة فهم يجمعون الضرائب ويتلقون المنح والمعونات ولديهم مصادر مستقلة تجلب لهم العائد مثل الأعمال والمؤسسات ولديهم «جمهور مقيد» من خلال المساجد والمدارس والبرامج الاجتماعية وبرامج الرفاهية تكملها الوسائط الحديثة. ولكل من الأصوليين والتقليديين دور النشر الخاصة بهم ومحطات الإذاعة والراديو والتلفاز والمدارس والجرائد وغيرها. ولا يوجد لدى الحداثيين ما هو مقابل ذلك.

والعقبة الثانية سياسية. فالحداثيون يعيشون فى بيئة أصولية أو تقليدية نشطة سياسيًا، وليس لدى الحداثيين تأييد ودعم ويعرضهم موقفهم للخطر. فقد يتهموا بالارتداد عن العقيدة ويحكم عليهم ويمنعون من الكتابة والعمل ويتم التحرش بهم بطرق عديدة وقد يحكم عليهم بالإعدام.

وطالما يعمل الحداثيون كأفراد منفصلين معزولين فإن ذلك ضعف ولكن عندما يتحولون إلى حركة يصبح ذلك قيمة بمعنى أنه مثل حركات التحرير والحقوق المدنية يوجد أفراد مستعدون للمجازفة بالسجن كى يظهرون أبطال وقدوة وقادة.

فى الغرب أو فى السياقات الحديثة الأخرى، فإن الحداثيين لديهم عقبة مختلفة: إنهم جيدو التعليم وجيدو التكامل ولكنهم ليست لديهم آراء شعورية تمكنهم من الكتابة بشكل جذاب. فهم يميلون إلى كتابة نصوص ومنشورات أكاديمية دون دعاية على نطاق واسع. وهذا يجعل عملهم صعب المنال نسبيًا لدى جموع الشعب وخاصة الشباب المضطرب وأحد الكتَّاب السابق ذكرهم وهو خالد أو الفضل يكتب إصدارات طويلة ومعقدة ينتقد فيها المدارس والفلسفات المختلفة للفقه الإسلامى. فتحليله للفتاوى الأكثر تجديداً للمؤسسة الدينية السعودية هو تحليل قابل للقراءة على نطاق واسع وممتع ولكنه مدفون فى إصدار نظرى ذى ٣٦١ صفحة عن دلالة وتطور السلطة الدينية فى الإسلام. وينشر Bassam Tibi كتبًا أكاديمية فى مجال العلوم السياسية.

يصبح الحداثيون أساتذة بالجامعة وليسوا معلمين فى المدارس أو فى مساجد العطلة الأسبوعية. وهم يرتدون مثلهم مثل أى شخص غربى آخر بما يقلل من جاذبيتهم لدى الصحفيين الذين يكتبون عن «المسلمون فى أمريكا»، وهم لا يعزلون أنفسهم اجتماعيًا، مما يجعل من الصعب إيجادهم - فلا يمكنك أن تتصل بمركز ثقافى إسلامى وتجدهم هناك وحيث إن الإسلام لا يمثل هويتهم الأهم فإنهم لا يميلون إلى تأسيس منظمات أو نواد إسلامية، وهذا يحجبهم عن الرؤية.

حالتان خاصتان للحداثة

هناك بُعدان متباينان محددان للحداثة يستحقان التبصر فيهما بشكل منفصل وهما: الإسلام كما يمارسه المسلمون فى الغرب، والثقافة العالمية للشباب.

الإسلام الغربى. يعيش ملايين المسلمين خارج أراضى التمركز الإسلامى التاريخى، فهم قد تطبعوا اجتماعيًا وتعلموا فى الغرب، والذى فيه إما شكلوا مجتمعاتهم الخاصة بهم وثقافتهم الفرعية الخاصة أو اندمجوا فى المجتمع السائد. ماذا كان تأثير ذلك على تأويلهم وممارستهم للإسلام؟ وهل يمكن أن يكونوا مورداً فى تنمية إسلام ديمقراطى حديث؟

الإسلام الأوربى فى أوربا الشرقية طور المسلمون البلقان، وهم يمارسون الآن بالفعل، إسلامًا أرثوذكسيًا يغلب عليه الطابع العلمانى الحداثى(Schwartz ٢٠٠٢) وتقدم أوروبا الشرقية أيضًا أمثلة مؤثرة عن الصداقة والتعاون الغربى- الإسلامى، مثل تدخل الغرب (برغم أنه جاء متأخراً) إلى جانب المسلمين البوسنويين والألبان المضطهدين. ولقد حشد المجتمع المدنى الأوروبى غير المسلم مساندة مؤثرة وأظهر قدراً عاليًا من التضامن والمبادرة. فجمعت منظمة كاثوليكية (منظمة Catitas) مليون دولار فى يوم واحد فقط عن طريق أنها طلبت من أصحاب محلات السوبر ماركت

النمساويين إضافة تبرع على فواتيرهم. والمدهش أن الحملة قامت على مفهوم ضرورة مساعدة البوسنويين المحاصرين لأنهم «جيران» - دون ذكر سيرة الدين. يستحق هذا الفصل من التاريخ الحديث إبرازه. فخلال ذلك الصراع كانت المجتمعات والأسر الأوروبية الغربية تستضيف بحرارة مئات الآلاف من اللاجئين البوسنيين.

تطبق المحاكم الجنائية الدولية مبادئ حقوق الإنسان العلمانية فى جهد لعقاب من اقترفوا تطهيراً عرقيًا ضد المسلمين فى البلقان وذلك لأنها تسعى إلى تحقيق العدالة لهم على أساسات علمانية. ويتمتع المسلمون البلقان بمستوى أعلى من التنمية مقارنة بأغلب العالم المسلم. ويمكن أن يدل ذلك على أن الصداقة مع الغرب ممكنة وأن اعتناق القيم الديمقراطية يؤدى إلى مخرجات مرغوبة وجودة أفضل للحياة.

يعيش على الأقل ٩ ملايين مسلم فى أوروبا الغربية. ولقد أصبح الوجود الضمنى للمنظمات المتطرفة والإرهابية داخل ذلك المجتمع معروفًا بشكل متزايد ومنذر كنتيجة للجهد المخابراتى تبعًا لأحداث ١١ سبتمبر.

ولكن البيانات تظهر أيضًا أن الأغلبية الواضحة من المسلمين الأوروبيين حداثيين أو علمانيين. ويوصى بسام تيبى أحد القادة المفكرين فى ذلك المجتمع بالتنمية النشطة «للإسلام الأوروبى» كحصن مقاوم للتطرف الإسلامى المدمر. وسوف يتطلب ذلك الحصول

على معرفة أفضل عن معتقدات المسلمين الأوروبيين الحداثيين وكيف يمارسون دينهم، وتشجيع هذا الإندماج للإسلام مع الحداثة، وإيجاد طرق لتقنين ونشر هذا الموقف بدلاً من ترك الساحة للتقليديين والأصوليين- وهم أقلية - كى يمثلوا ويَعرفوا الإسلام الأوروبى.

ولقد كانت الحكومات الأوروبية تميل أيضًا إلى أن ترعى القطاع التقليدى وذلك لأن ذلك أنسب حيث يملك هؤلاء مؤسسات تحمل لافتة تمثيل المسلمين. وفرنسا على وجه الخصوص طالما أرادت نوعًا من «الكنيسة» الإسلامية بغرض الملاءمة وكآلية تحكم. والفكرة كانت أن الدولة يمكنها حينئذ أن يكون لها نظير بارز فى تعاملاتها مع أقلياتها الإسلامية. وبعد أحداث ١١ سبتمبر ازدادت الرغبة فى كسب رؤية عامة أفضل وخلق صوت أرثوذكسى رسمى للإسلام الفرنسى. ولكن هذا تدخل قوى فى التوازن الداخلى للسلطة فى الإسلام. وفى حين كان الغرض إضعاف المتطرفين، فإن ذلك بالمثل يختصر الحداثيين والعلمانيين. ولا يوجد دليل على التبصر فى تشعبات هذه الحركة ولا استكشاف البدائل.

الإسلام الأمريكى. ينطبق نفس الشىء على الإسلام الأمريكى. فـ «وجهة العالم» تقليدى. وهذا جزئيًا يرجع إلى عدم وجود البدائل وجزئيًا هو نتيجة للجهود الدبلوماسية العامة (الشعبية) للحكومة الأمريكية. وسوف تعود إلى هذه المسألة فيما بعد. يكفى الآن أن نقول أن جعل التقليدية تمثل الإسلامى الأمريكى لا يعكس الواقع

السوسيولوجى (الاجتماعى) (Haddad and Lummis ١٩٨٧).

تشير الدراسات الأوروبية والأمريكية على السواء إلى أن الأصوليين والتقليديين هم الأقلية (smith ١٩٩٩). ولكن قدرتهم على التحدث باسم الإسلام وتحديد إدراكه العالم تفوق بكثير أعدادهم ودلالاتهم الحقيقية. أحد طرق تصحيح هذه الصورة مع تغذية تنمية الديمقراطية هى إعطاء مساندة أكبر للروابط المدنية والثقافية التى تنشأ من داخل المجتمعات المهاجرة والعرقية ويمكن تصحيح المبالغة المتصنعة فى إسلامية المسلمين الغربيين إذا أعطينا انتباهًا ومساندة للطرق الأخرى التى يعبرون بها عن هويتهم: الموسيقى والثقافة والمحاضرات عن التاريخ وغيرها.

وللتقليديين بعض المزايا المقارنة. فهم المتحدثون البارزون والمرئيون. وهم لديهم بنية تحتية من المنظمات والمساجد واللجان. وهم يمكنهم الاعتماد على التمويل الخارجى. فالمصادر الأصولية والتقليدية تمدهم دوليًا بمادة رخيصة كى يوزعوها.

تبرز المساجد والمراكز الإسلامية والمحال الأمريكية كتابات المودودى Maudoodi (Smith ١٩٩٩ ص٤٦) وهو أحد كتاب الأصوليين الباكستانيين والذى أغرق الأسواق الدولية بإصدارات كلية لكتاباته فى شكل مطبوعات غير مكلفة.

ومن ثم تيسير الخطاب فى الوقت الحالى الأصوليون والتقليديون. فأغلب الكتب التى تخاطب الجماهير العريضة هم

مؤلفوها أو تعكس روايتهم للإسلام. مثال صغير، تخزن مكتبات ماريلاند العامة القليل من النصوص التقديمية عن الإسلام تهدف إلى تعريف القراء الصغار بذلك الدين. وجميعها مكتوبة من منظور تقليدى يميل نحو الأصولية.

«أنا مسلم» (Aggrawal ١٩٨٥) هو جزء من سلسلة تصف الأديان الرئيسية. ويصف هذا الجزء فتى عمره ١١ عام ابن أسرة باكستانية محافظة بشدة وهى أسرة فقيرة جداً من الطبقة الدنيا- المتوسطة هاجرت مؤخراً إلى انجلترا، وذلك كما ذكرنا بالفعل ليس صورة دقيقة للمجتمعات البشرية ذات الصلة. يؤكد هذا النص كحقيقة إسلامية عدداً من المقولات التى هى فى الواقع جدلية إلى حد كبير: فمثلاً

لا يسمح للنساء بالصلاة مع الرجال.

ينبغى على المرأة أن تحجب نفسها من الرأس حتى القدمين فيما عدا وجهها وكفيها.

ينبغى على الأطفال طاعة والديهم فى كل الأشياء حتى عندما يكبرون.

يمكن تزويج الفتاة لشخص لم يسبق لها مقابلته أبداً.

فى حالات خاصة يمكن للمسلم أن تكون له أكثر من زوجة باستثناء المقولة الأخيرة غير ذات الدلالة بالنسبة للمسلمين فى انجلترا حيث يكون تعدد الزوجات غير مشروع، لا مقولة من هذه

المقولات صحيحة. فطاعة الوالدين لها قيمة فى المجتمع التقليدى وغير متعلقة بالإسلام. والقرآن والحديث يؤكدان بشدة على ضرورة تبليغ المرأة بقبولها للزواج، والنبى كان يعرض باستمرار فسخ زيجات الفتيات والسيدات اللائى لم يتم منحهن خياراً حراً. وكانت الصلاة المختلطة (الاختلاط فى الصلاة) هى المعيار فى المجتمع الإسلامى الأصلى وكان النبى باستمرار يوبخ الرجال الذين كانوا يحاولون تثبيط النساء عن فعل ذلك، ويظل الجدل فى هذه القضية مفتوحًا اليوم. وفى هذا الكتاب المصور فإن عضوات أسرة نظير بما يتضمن أخته ذات الثلاثة أعوام هن ملفوفات كليًا فى عباءات عملاقة. ولا يوجد أى رجل من الرجال فى هذا الكتاب برغم أن المكان هو انجلترا يرتدى زيًا غربيًا وأغلبهم يطلقون لحيتهم.

والكتاب التالى على رف مكتبة مقاطعة مونتجومرى والمنشور فى ٢٠٠٢ فى سلسلة «عالم المعتقدات» والمزخرف بإسراف بالعديد من الصور الإيضاحية يصف بالمثل فقط الروايات الأصولية والتقليدية للإسلام. ولا توجد سيدة، من بين عشرات النساء اللاتى يصورهن هذا الكتاب، بدون غطاء للرأس وأغلبهن شديدى التحجب. ويوضح النص فى تعقيب رئيسى على الصورة «يؤمن المسلمون بأن النساء ينبغى أن يرتدين عادة زيًا محتشمًا» يتضمن ذلك فى بعض الدول ارتداء إيشارب الرأس ولكن فى دول أخرى ينبغى عليهن حجب أنفسهن من الرأس حتى القدمين.

ماذا عن ملايين المسلمات اللائى لا يفعلن ذلك؟ وماذا عن

النصف الآخر من السورة الذى يطلب من الرجال ارتداء زيًا محتشمًا أيضًا؟ فى تعقيب مؤثر على صورة لثلاث نساء أفغانيات ترتدين البرقع المصنوع بشكل جذاب من نسيج متعدد الألوان لو كن فى أفغانستان لضربتهن الشرطة الدينية الطالبانية عليه، تحمل الملحوظة «هؤلاء النساء من أفغانستان يرتدين طرازاً من الذى محافظصا جداً».

تعزز بعض أوجه الثقافة الأمريكية أيضًا الأفضلية التقليدية وبما أن هذه هى الجماعة الأكثر ميلاً لارتداء الزى الإسلامى، فإنها تقدم صورة أفضل بحيث يميل الإعلام إلى اختيارها عندما يحتاج إلى إيضاح بالصورة لقصة عن المسلمين الأمريكيين. ويحبذها السياسيون لنفس السبب - حينئذ يكون من الملحوظ أنها «تصل» إلى المسلمين. ولكن هذا الاتجاه يقدم رؤية مشوشة للحقائق الديموجرافية والسياسية.

موقع الإنترنت لوزارة الدولة الخاص بالحياة الرسمية للمسلمين فى أمريكا والذين تم إخراجه تحت رعاية برامج المعلومات الدولية هو مكرس بشكل مطلق للمحتوى التقليدى بالكلمة والصورة. فالنساء والفتيات وحتى الأطفال الإناث يرتدين الحجاب. ويظهر مشهد للسوبر ماركت سيدتين يغطين حتى وجههن. وتحت عنوان «أسرة بكاليفورنيا» نرى زوجة فى رداء زى طراز ذاتى نكرة ليس له معنى لا عرقى ولا قومى ولكنه يبدو وكأنه يأتى من إعادة تشريع إنجيلى. وحتى الأطفال الإناث الذين يشاركون فى معرض أو

رياضة مدرسية أو فى مؤتمر للشباب جميعهم يظهرون وهم يرتدون البعد الأكثر تشدداً للزى الإسلامى. وهذه الصور لا تعكس الإسلام الأمريكى العادى ولكنها تظهر قطاعًا هامشيًا من المجتمع الإسلامى الأمريكى. ويتبع المحتوى نفس الاتجاه. فهناك قصص تنتحب على حقيقة أن الاندماج الحاضر للتلاميذ والطلبة الذين يأتون إلى الولايات المتحدة من دول إسلامية يجعلهم غير مميزين كمسلمين بين رفاقهم، وتصف كيف أن إطلاق الحجاب الكامل الذى يشمل زيًا فضفاضًا طويلاً حتى الأرض يجعل الفتيات المسلمات بالمدرسة الثانوية يشعرن وكأنهن «جواهر قيمة / غالية».

يؤكد النص أن «الشريعة ونصوصها المحددة ينبغى اتباعها بدقة (ارتياب)» ويتحدث عن «المؤثرات الغربية التى قد تفسد أو تخرب القيمالإسلامية الأساسية» ولا يوجد تلميح بأن هناك نطاقًا من الآراء عن هذه القضايا داخل المجتمه المسلم الأمريكى. ولا توجد أى مناقشة لكيف سوف يلائم «الاتباع المدقق للشريعة» النظام الجنائى الأمريكى بما يتضمن الحدود أو العقوبات الجنائية.

ثقافة الشباب - الثقافة المضادة. كان الأصوليون الراديكاليون ناجحين جداً فى تعبئة حشد) الشباب. فالحرس الثوار والطالبان وحماس والجهاد الإسلامى والقاعدة جميعها اعتمدت على المساندة العريضة للشباب وبالأخص الرجال صغار السن.

للأصولية عدد من الخواص التى تجعلها جذابة للشباب المتذمر،

ولكنها أيضا لها نقاط ضعف (سلبيات) هامة يمكن أن تتسبب فى أن يتحول الشباب ضدها. حتى الآن لم يتم استغلال القصور (الخلل) الرئيسى فى الاستراتيجية السياسية الأصولية.

تقوم جاذبية الأصولية للشباب على حقيقة أنها استفزازية وراديكالية وتبدو أنها ترمز للعدل وترمز لمن ينداسون تحت الأقدام (وبالأخص كما يرمز الفلسطينيون).

فى السياق الشرق أوسطى، تزود الراديكالية الإسلامية بوسيلة لتحدى الفساد والأنظمة ذات الصلة بالأجانب أو مجرد الأنظمة غير الناجحة، وطريقة للتعبير عن العواطف نحو القضية الفلسطينية. أما فى الغرب فإن الإسلام العوانى محرج لأغلبية المجتمع، وهذا يجعله وسيلة سهلة وجذابة للتعبير عن السخط.

إن عدم الوضوح الأيديولوجى للأصولية يجعل من الممكن لها إلحاق أى عدد من جداول الأعمال السياسية الفردية بالرسالة. فالبرنامج واسع النطاق ولكنه غامض: إنهاء الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية والحصول على معيار أخلاقى أعلى وجعل باقى العالم يحترم الإسلام. تزود الأصولية بمظلة للراديكالية السياسية الخفية (eclectic) والموجهة بالتأثير فهى تمنح تثبيتًا سريعًا للفخر والهوية والانتماء والغرض. وتعمل العضوية على أساس ضحل مكتسب بسهولة. أغلب المواد التعليمية تكون نبذات وليست كتب، حيث تكون قرادتها سريعة. وبالنسبة للشباب صغار السن يمكن أن تعمل

الأصولية كطائفة (مذهب). ويكون التركيز على المحظورات والوصايا الصارمة والطقوس، فى الشكل الخارجى للإسلام، وعلى الإيماءات والإشارات المستفزة المتعلقة بالنية والتضامن، مثل اللحى وإيشاربات الرأس. والقيمة السيكولوجية واضحة: فذلك يظهر البناء والنظام، شعور بالجماعة والغرض. ففى البيئات الأكثر حداثة أو عندما تكون الأسرة المرغوب فى التمرد عليها هى أكثر حداثة أو فى الغرب، فإن حتى شىء مثل إعطاء إيشارب للرأس هو طريقة لتحقيق أثر عالى بأقل جهد. فهذا يعمل كـ«اختبار للشجاعة» لا تحيطه مخاطرة كبيرة وهو طريقة لتحقيق الاستحسان من «داخل المجموعة» أما المضايقة والخلط الذى تولده فى المجتمع العلمانى أو البيئة الأكثر حداثة يعطى إشباعًا لحظيًا.

ولكن للأصولية الراديكالية خصائص عديدة ينبغى أن تحول الشباب ضدها. فدعمهم (مساندتهم) لها يصبح أمراً مخالفً للمنطق وذلك حيث إنها ضد اهتماماتهم الموضوعية بصور هامة.

فهى لا تعطى قيمة عالية لحياتهم. وعن طريق إظهار الإساء الراديكالى بأن يحقق المثالية الشبابية ويتواءم مع شعورهم بالدراما والبطولات فإنه يحول الشباب صغار السن إلى الطعم السنى ويحولهم إلي قنابل انتحارية. والمدارس بصورة خاصة تعلم الأولاد أن يموتوا صغار السن وأن يصبحوا شهداء. وإذا بدأ الشباب المسلم النظر إلى الأشياء من خلال عدسة الأجيال (عدة جيلية) كما فعل الشباب الغربى فى الستينات، فإنهم قد يبدأوا فى التساؤل لماذا

أغلب الانتحاريين والشهداء هم تحت سن الثلاثين فلا ينبغى أن تكون صغيراً في السن كى تحزم نفسك بالمتفجرات. إنه شيء رائع أن تفعل ذلك، لماذا إذن لا يفعل ذلك من هم أكبر سنًا ؟

تعمل الأصولية ضد الدوافع الطبيعية للشباب والمرهقين وبيولوجيتهم فالدوافع الرومانسية والجنسية هى جزء طبيعى لتلك المجموعة العمرية فتتطلب الأصولية كبحها أو التسامى الصارم فيها. ومن ثم فإنها تخترق (أو تنتهك) عدداً ذا دلالة (عدداً كبيراً) من الحاجات السيكولوجية إضافة إلى الاهتمامات الاقتصادية والموضوعية الأخرى للشباب صغار السن.

تلعب الأصولية لعبة ذات مخاطرة ديموجرافية كبيرة. فلقد نجحت حتى الآن فى التخفى عن الأغلبية الكاسحة من الناس - فئة النساء والشباب - التى تتسلط عليها لتعبث بصالحها بأقلية صغيرة.

إن العناصر الديموجرافية للمجتمعات العربية والمسلمة تصقلها فئة الشباب ولقد تمكنت الأصولية من الحصول على جيل صغير السن ذى قوة تأثيرية ديموجرافية يسمح لنفسه بأن يقع تحت سلطة أقلية من الرجال كبار السن المتسلطين كى يقوده. فإذا أدرك هذا الجيل ذلك، قد ينتج انقلاب (حركة شبابية انقلابية). الإسلام الأصولى مؤذ للنساء وهن نصف المجتمع. وكما هو الحال مع الشباب فإن الأيديولوجية قد نجحت إلى حد كبير إما أن تسلب النساء قدرتهن كممثلين سياسيين أو تضليلهن فى شروط مساندة تعارض أفضل اهتماماتهن الموضوعية.

التقليدية، التى هى أضعف الإيمان، تعدل الأيديولوجية المرتبطة بما هو متوارث عن الآباء والأجداد، ولكنها بالنسبة للأصوليين لا تصلح لإلهام الشباب. أما الحداثة بكونها أكثر جرأة وأكثر تحديثًا يمكن أن تكون المنافس. وهى أيضا لها ميزة أنها فى اتفاق موضوعى أكثر مع اهتمامات الشباب والنساء.

لا يندرج الصوفيون تحت أى من هذه التصنيفات ولكننا هنا سوف نتضمنهم فى تصنيف الحداثة. تمثل الصوفية تأويلاً متفتحًا وفكريًا للإسلام. وتؤثر الصوفية فى المناهج الدراسية والمعايير والحياة الثقافية وتنبغى تشجيع هذا التأثير بقوة فى الدول ذات التراث الصوفى مثل أفغانستان أو العراق. فمن خلال موسيقاها وأشعارها وفلسفتها، للصوفية در الجسر القوى خارج التيارات الدينية.

***

الفصل الثالث
استراتيجية مقترحة

إن مشكلة الراديكالية الإسلامية - مظاهرها وأسبابها الكامنة وميلها للذوبان فى الصراعات الاجتماعية والسياسية الأخرى - تجعلها قضية شديدة التعقيد. لا يوجد اتجاه واحد صحيح أو استجابة واحدة صحيحة وبالتأكيد لا يوجد حل واحد قابل للتعريف. ولكن المطلوب هو مجموعة من الخيارات المتشابكة تقوم على التزام راسخ وثابت بقيمنا الجوهرية ويتفهم أن التعاون التكتيكى، والذى تمليه المصالح الآنية هو ببساطة ليس ممكنًا مع بعض اللاعبين على الساحة والمراكز فى نطاق الإسلام السياسى، ولكن الممكن هو التعاون الذى يحوى سلسلة من الأوضاع المرنة للسيناريوهات والشرائح والدول المختلفة.

يسعى هذا الخيار إلى تقوية وتغذية وتنمية الإسلام المدنى الديمقراطى وتنمية التحديث والتطور. فهذا الاتجاه يؤدى إلى زيادة المرونة الضرورية للتعامل مع السيناريوهات المختلفة بالشكل الملائم ويقلل خطر الآثار السلبية غير المقصودة. تصف الخطة التالية الشكل الذى يمكن أن تتخذه مثل هذه الاستراتيجية:

* تدعيم الحداثيين أولاً مع تعزيز رؤيتهم للإسلام لتتفوق على رؤية التقليديين من خلال تزويدهم بمنابر واسعة النطاق تسمح لهم

بتفصيل ونشر آرائهم. فينبغى أن نجعل مواقفهم هى الأساس وأن نقدمهم شعبيًا على أساس أنهم الممثلين الحقيقيين للإسلام.

* تدعيم العلمانيين ولكن ليس على طول الخط، وإنما حسب القضية المطروحة.

* تشجيع المؤسسات والبرامج المدنية والثقافية العلمانية.

* مساندة التقليديين بالقدر الذى يكفى لجعلهم ذوى صلاحية أمام الأصوليين (فى حالة أن تختار هذا الأمر) ولمنع التحالف بين هذين الفريقين. وفى داخل جماعة التقليديين ينبغى علينا التشجيع الانتقائى لمن هم الأقرب نسبيًا إلى المجتمع المدنى الحديث. على سبيل المثال فإن بعض مدارس الشريعة الإسلامية تكون أكثر قربًا لمنظورنا للعدالة وحقوق الإنسان من غيرها.

* وأخيراً معارضة (مناهضة) الأصوليين بهمة بواسطة لفت الأنظار إلى نقاط الضعف فى مواقفهم الإسلامية، والأيديولوجية، وفضح المسائل التى لا يمكن أن يقبلها لا الشباب المثاليون فى جمهورهم المستهدف ولا التقليديون أصحاب التقوى والورع: فسادهم ووحشيتهم وجهلهم وأخطائهم المتحيزة والواضحة فى تطبيقهم للإسلام وعدم قدرتهم على القيادة والحكم. وهناك بعض المهمات الإضافية والأكثر مباشرة سوف تكون ضرورية لدعم هذا الاتجاه الشامل، مثل:

- المساعدة فى كسر الاحتكار الأصولى والتقليدى فى تعريف وتفسير وتأويل الإسلام.

- تحديد العلماء الحداثيين الملائمين لإدارة موقع على الإنترنت يجيب على الأسئلة المتعلقة بالسلوك اليومى ويقدم آراء شرعية إسلامية حداثية.

- تشجيع العلماء الحداثيين على كتابة النصوص وتطوير المناهج.

- نشر كتب تعريفية مدعمة كى تكون متاحة مثلها مثل منشورات المؤلفين والكتاب الأصوليين.

- استخدام وسائل الإعلام الإقليمية الشعبية مثل الراديو لتقديم أفكار وممارسات المسلمين الحداثيين لتوسيع قاعدة الرؤية العالمية لما يعنيه وما يمكن أن يعنيه الإسلام.

***

الملحق (أ)

حرب الحديث الشريف

يتمركز أغلب الجهد الجارى لتطوير الدين الإسلامى على الجدال فى قواعد وممارسات معينة فى الإسلام ينتقدها من هم أغراب على الدين، حيث لم تعد تبدو تناسب العصر الحالى. فالقرآن يعتبر بشكل عام (وليس عالمى) خارج مجال النقد. ولكن هناك العديد من الموضوعات التى لا يغطيها القرآن على الإطلاق أو يكتفى بأن يشير إليها بإبهام. ومنذ نزول الإسلام، فإن مؤيدى الآراء المختلفة قد وضعوا تفسيراتهم وتأويلاتهم على أساس الحديث. يمكننا أن نشير إلى هذا الشكل من الصراع الأيديولوجى بـ «حروف الحديث».

يمكن الدفاع عن قيم المجتمع المدنى والديمقراطية باستخدام الأحاديث، وكان هذا الاتجاه الذى فحصناه خلال مرحلة البحث من هذا التقرير. ولكن فى النهاية فإن الحديث لا يمكن أن يكون أبداً إلا أداة ثانوية تكتيكية لعدة أسباب. وعلى أى حال فإن الحديث لا يقدم طريقة للبت فى أى قضية. فهو عادة ما يترك مساحة للآراء المتعارضة المتضادة كى تدعى الشرعية لنفسها.

البعض يقول أنه ينبغى ألا ندخل فى تنافس مع الأصوليين والتقليديين على أساس الحديث. على سبيل المثال، يعتقد Ibn Warrag (١٩٩٥ ص ١٩٣) أنه: لخوض المعركة مع الملتزمين

والمتعصبين والعلماء فى تأويل هذه النصوص ينبغى خوض المعركة بمصطلحاتهم وبنفس أسلوبهم. كل نص أنت تقدمه سوف يوردون أمامه عشرات النصوص الأخرى التى تناقضه. لا يمكن للإصلاحيين كسب المعركة بهذا الشكل أيًا كانت الأدوار التى يقومون بأدائها.

ولكن على الرغم من أنه ربما لا يمكن كسب حروب فى معارك الاستناد إلى الحديث الشريف، فهى بوضوح قد يتم الوصول إلى مكاسب بشكل لا يمكن أن يدركه ذلك التعداد الكبير من المسلمين الذين لا يجيدون القراءة والكتابة والغير متعلمين والخاضعين للسلطات المحلية والمقيدين بالتراث. فالعناصر التقدمية المضطرة للعمل فى السياقات الإسلامية تحتاج إلى الذخيرة الكافية كى تحقق على الأقل أدنى ما هو مطلوب. فمن غير المقبول أن يصبح الإسلام الأصولى نهاية المطاف.

فى النظرية، فإن دراسة علم الحديث، هو علم عالى التعقيد فى الحقيقة. ولكن فى التطبيق، فإن المعايير الصارمة تكون غير ذات دلالة، وتكون السياسة هى السلطة العليا.

يفترض أن يتم الحكم على الحديث بالعديد من المتغيرات المعقدة، أولها سياق ومصداقية الحديث:

* من هو الراوى الأصلى؟

* منذ متى كان هذا الراوى مسلمًا؟

* ما هو مدى قربه من النبى؟

* ما هو مدى تدخله المباشر فى الحديث الذى تتم روايته؟

* هل هناك أى إثبات مستقل؟

* ما هى الروايات الأخرى النابعة من هذا الصحابى؟

* ما هو مدى الحكم على مصداقية هذه الروايات؟

* ما هى درجة ذكاء وتعليم هذا الراوى؟

* هل الراوى تذكر الحدث أم اعتمد على ملاحظات أو مذكرات؟

* هل كان للراوى مصلحة أم كان مراقبًا محايداً ؟

* كيف تم تمرير هذا الحديث؟

* هل هناك فجوات فى النقل؟

* ما هى مدى مصداقية وسائل النقل؟

وتتناول سلسلة منفصلة من التحليل مادة الرواية:

* هل ما يسجل هو قول للنبى أم فعل قام بأدائه أم كليهما ؟

* إذا كان النبى قد فعل شيئًا معينًا ، هل يمكننا أن نستنتج أن هذا الشىء مسموح به؟

* إذ قام آخرون بفعل شىء ما فى وجود النبى وامتنع هو عن توبيخهم هل هذا الشىء يكون مسموحًا به بالمثل؟

* ما هو السياق؟ هل يحتمل أنه كان يمزح مثلاً؟

وأخيراً هناك اعتبارات أساسية تسمح بأن توضع الأحاديث فى ترتيب هرمى:

* هل تطبيق حدث معين يفيد الصالح العام أم يفيد فقط اهتمامات فردية؟

* هل يجعل حياة المجتمع أسهل أم أصعب؟

* هل يتفق الفقهاء وعمل الصحابة على القضية أم أن هناك اختلافًا بينهم؟

عندما يرصد العلماء فقط «تشمل هذه القواعد: التى تنطبق على تقييم وتطبيق الحديث فإنهم يحتاجون إلى صفحات مكتظة.

- القول الذى يؤيده فعل أقوى من مجرد القول.

- النص الذى يشير إلى كل من القاعدة والمناسبة التى كانت خلفها أقوى من النص الذى يعرض القاعدة فقط.

- القول الصريح للنبى أقوى من فعل قام به.

- الأمر الإيجابى (أفعل كذا وكذا) أقوى من الأمر السلبى (لا تفعل كذا وكذا).

- التمثيل الذى يتضمن سببًا مؤثراً تأكد من خلال طريقة حذف أو استبعاد البدائل أقوى من السبب الذى تأكد من اختبار الملاءمة. (El Fadl ٢٠٠١ ص ٤٠).

ولكن فى التطبيق لا يتم بذل مثل هذا الجهد للوزن والقياس

والتبصر فى ظروف وملابسات الحديث أو مصداقية راويه. ففى الواقع، يعمل الحديث على مستوى المقولات المنتشرة كى يكتسب المصداقية والشعبية من خلال التكرار والحدة. فلقد أشارت مواقع الإنترنت الإسلامية إلى الأحاديث القديمة المتكررة ولكنها نادراً ما كانت تهتم حتى بذكر المصدر أو قول ما هى مجموعة الأحاديث التى جاءوا منها بحديث معين بهذه الرواية. فهذه المواقع ببساطة «تزعم» الأحاديث.

حتى إذا لم يكن الوضع كذلك، فلنتحدث بموضوعية، لا شك فى أن الحديث هو فى أفضل الحالات وسيلة مبهمة بها خلل. فلنتبصر فى حالة البخارى جامع ما يعتبر بصورة عامة أكثر مجموعات الأحاديث جزمًا ومصداقية. فلقد جمع البخارى ٦٠٠٠٠٠ حديث وبحث أصالة هذه الأحاديث واستبعدها كلها عدا ٧٦٠٠ منها وألغى بعضها للتكرار والتطويل ليبقى منها مجموعة تتكون من حوالى ٤٠٠٠ حديث. يلاحظ Mabrook Ismaeel (٢٠٠٣):

فلننظر إلى معايير مزاعم البخارى، فإذا سمحنا بساعة واحدة لمعالجة كل حديث يستغرق العمل فى هذه الأحاديث حوالى ٧٠ عام دون توقف. وكل حديث يمكن أن يكون قد تم تتبعه منذ عهد النبى من خلال عملية نقل طويلة ينبغى البحث الدقيق فى كل حلقة فيها، وكل عملية (سلسلة) تتكون من ٦ أو ٧ أفراد من أجيال متعاقبة جميعهم توفوا فيما عدا واحد منهم. وبرغم ذلك يقال أن البخارى قد أكمل هذا العمل فى ١٦ عام. هل كان من الممكن منطقيًا

للبخارى أن يكون قد بحث هذا الكم من الأحاديث؟ الإجابة لا. الذى لا يمكن للحديث القيام به هو البت فى أى قضية بشكل وصفى وجازم. و«حروب الأحاديث» فى جوهرها هى حروب تحات (attritior). فالقضايا التى يمكن الجدال فيها لا نهاية لها وتتشعب إلى قضايا أصغر وأصغر. هذه العملية تلمودية إذا استعرنا المصطلح من دين آخر. ليس هذا طريق التغير. فجودة الحجة فى قضية معينة لا تقنع الأشخاص بتغيير نظرتهم للعالم ولكن نظرتهم للعالم هى التى تحدد أى خبير يستشيرونه وأى تأويل يميلون إليه وأى حديث ينتقونه من المخزون الكبير.

على سبيل المثال، قد يقول الأصوليون أن الموسيقى حرام. وعندما وصل الطالبان إلى السلطة فى أفغانستان منعوا فوراً الموسيقى بكل أنواعها فيما عدا التلاوة الدينية. ولكننا لدينا دليل على أن النبى كان يحب الموسيقى. ففى إحدى المناسبات وبخ النبى زوجته على نسيانها استئجار المغنيين لزفاف كانت تنظمه. ثم غنى لها بيتًا من غنوة زفاف تراثية اعتقد ضرورة ادائها فى خلال هذا الحدث، وفى مناسبة أخرى، عندما مر عليه فوج من الفنانين، فهو لم يكتفى فقط بالسماح لهم بالأداء ولكنه أيضاً سمح لهم استخدام مسجده كصالة للأداء. واحضر زوجته عائشة للاستمتاع بالحدث. ومن هذين الحدثين الصغيرين يشتق العلماء الأكثر تحرراً فى عقليتهم خلاصات عديدة: الغناء مقبول، وهو فى الحقيقة ينبغى أن يكون شيئاً جيداً، إذا كان النبى نفسه يشترك فيه شخصيات

والغناء صحيح، فلقد كانت غنوة زفاف وليست غنوة دينية ولا بأس من أن يستمتع جمهور مختلط (رجال ونساء) بالفن الشعبى- فالنبى شجع زوجته على الحضور معه. وهناك قيمة للفن المرح وإلا لم يكن النبى ليسمح به فى المسجد.

ولكن هذا لا يعنى غلق القضية. ماذا عن النساء اللائى يغنين فى التليفزيون - هل يمتد الحديث للسماح بذلك أيضاً؟ فالحكم المتشدد فى أفغانستان يعتقد بأنه غير مسموح وقد حرمه بالفعل. ماذا لو كانت الأغانى، حتى لو كانت بلا ضرر، لا معنى لها كليًا، ومن ثم غير حق؟ يقول القرآن أن الشىء إذا لم يكن حقًا فإنه باطل. ألا يعنى ذلك أن الأغنية تنشر الضلال؟ أم هل يعتمد ذلك على النية؟ بحيث أنك إذا كنت تستمع إلى الأغنية أو الموسيقى لتسترخ بعفة تكون مسموحة، ولكن إذا كنت تستمع لها كى تكتسب مزاج الحفل والذى فيه قد تشعر وكأنك ترغب فى الذهاب إلى ناد ليلى وتحتسى الخمر، هل هذا غير مقبول؟ من الملحوظ أننا نحتاج الآن إلى مناقشة قضية النية، والتى هى موضوع الكثير والكثير من الآيات القرآنية والأحاديث والتأويلات التابعة لها. فالجدال فى الموسيقى وحده يمكن أن يمتد إلى مالا نهاية.

ولنتبصر فى قضية خطيرة وهى مسألة ما إذا كانت الحكومة الإسلامية ملزمة بأن تضبط وتعاقب المنشقين عن الدستور الإسلامى. يقول الليبراليون لا: فالعقيدة مسألة ضمير فردى، وكل شخص مسؤول فقط أمام الله الذى يعرف نيته، وهذا الأسلوب

قسوة بعيدة عن الإسلام أن تعتقد أنك يمكنك أن تتجسس على وتحكم على وتعاقب اخوتك فى الإسلام.

لليبراليين أحاديث تؤكد ذلك:

«فذكر فإنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر»

«أفأنت تكره الناس على أن يكونوا مؤمنين»

«لا إكراه فى الدين»

حديث شريف:

«من تتبع عورات أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته كشف ستره وإن اختبأ فى عقر داره» (الترمذى).

حديث شريف:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«اجتنبوا الشبهات، ولا تظنوا فى بعضكم البعض ولا تجسسوا على بعضكم البعض، ولا تحاسدوا، ولا تضمروا السوء، ولا تمقتوا أو تعادوا بعضكم البعض. ولكن عباد الله إخوانا»** (مسلم)

ولكن المؤيدين للشرطة الدينية لديهم مجموعتهم الخاصة من الأحاديث والسور:

«رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»

حديث شريف:

«لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر وإلا فستدعون ولا يستجاب لكم» (الترمذى).

الحديث يخضع لسوء التطبيق. فالإسلام ليس بالضرورة دين سهل «المنال» من الصعب قراءة القرآن حتى إذا تجاهلنا حقيقة أن القطاعات الهائلة من الفئات المسلمة لا يعرفون القراءة لأنهم أميون أو لا يمكنهم فهم القرآن لأنهم لا يفهمون اللغة العربية. هناك ترجمات (تفسيرات) ولكن الكثير من المسلمين يشعرون أن النص صالح فقط فى شكله الأصلى.

وهناك عنصر آخر له أهمية إضافية كبرى وهو الآراء الشرعية التى تقول كيف ينبغى تأويل وتطبيق الآيات القرآنية. هناك أربع مذاهب للشريعة تحدد ذلك (بالإضافة إلى مدرسة الجعفرى الشيعية) وعلى الرغم من تباين أحكام هذه المدارس، حيث تختلف على سبيل المثال فى ما إذا كان يمكنك وما هى الظروف التى يمكنك فيها أن تعيد الزواج من شخص طلقت منه، أو عندما ينبغى قطع يد السارق، فإنها تعتبر بنفس درجة الصحة. وعادة ما تتبع الدول أو على الأقل الأقاليم مذهب أو أخر من مذاهب الشريعة ولكن الدراسة متشعبة والتطبيق معقد.

هناك الكثير من الأمثلة المذهلة عن كيف يترجم الحديث إلى سياسة اجتماعية نجدها فى دراسة لخالد أبو الفضل: فهو يستعرض طفرات المنطق التصورية التى مكنت الفقهاء السعوديين المحافظين المتشددين من إصدار قرارات دينية أو فتاوى فى موضوعات مثل ارتداء الكعوب العالية والملابس الداخلية على الصدر والسفر جواً للنساء. فيمكن لفتاوى أن تتناول المحتوى الدينى بطرق عديدة. يمكن للعالم أن يبنى على الحديث دون أن يذكر حقيقة أن أغلب العلماء يعتبرون ذلك الحديث بالتحديد ضعيفًا فهو يمكنه أن يجرد الحديث من سياقه أو يمكنه صنع قياسى مشكوك فيه لتطبيق الأحاديث القديمة على قضايا معاصرة وبشكل ملحوظ لا توجد أحاديث قائمة للعديد من القضايا الإشكالية التى تأتى يوم بعد يوم فى الألفية الثالثة وعند البت فى المبدأ العام الذى ينبغى تطبيقه يكون لدى العالم حرية كبيرة وبالأخص إذا كان جزءاً من حركة مثل الوهابية يشترك فيها معه علماء آخرون فى رؤيته للعالم ويؤيدون تأويله.

ولذكر مثال واحد فقط، فإن المعهد الدينى السعودى كانت به مستشارة سيدة اعتادت على زيارة قبر زوجها المتوفى ولكن حذرها البعض بأن المرأة المؤمنة لا تزور القبور. درس الفقهاء السعوديون المسألة ومنعوها من الاستمرار فى الزيارات. ولكن لم يكن السبب هو أنهم قد وجدوا فى القرآن أو السنة أية إشارة مباشرة لمثل هذا التحريم ولكن كان سببهم فى ذلك هو أن سلوكها قد يلهم النساء

الأخريات أيضًا لزيارة القبور للصلاة على أحبائهن الذين فارقوهن ويتبع ذلك أن تسوء سمعة القبور كأماكن تحتشد فيها النساء مع اجتذاب الرجال الذين يريدون الغمز وربما معاكسة هؤلاء النساء مما يؤدى إلى الفجور.

إن جهد تغذية الإسلام الديمقراطى يتطلب ثلاثة خطوط متوازية من الإجراء بالنسبة للأحاديث وتأثيرها على القانون (الشريعة) ينبغى إعلام وتعليم عامة الناس بصورة أفضل عن عملية تأويل دينهم بحيث لا يقعوا تحت رحمة الفتاوى غير المدققة أو غير المتعلمة والتى وضعت نفسها فى السلطة الدينية. وبدلاً من قبول ذلك، إذا أدعت بعض التصريحات أنها تقوم على الأحاديث، فإنهم يحتاجون إلى فهم تعقيد ما يعنى الحديث فى الحقيقة وكيف يفترض أن يتم تطوير التأويلات. هناك علماء مسلمون لا حصر لهم والذين يمكنهم شرح ذلك بسهولة ولكنهم ليسوا المسئولين عن برامج التربية الدينية فى العالم الإسلامى سواء الرسمية أو غير الرسمية، المشروعة أو غير المشروعة. فهم يحتاجون إلى بذل جهد لرفع مستوى المعرفة الدينية وتحويل المسلمين إلى «مستهلكين» متعلمين» للحديث والفتاوى والتأويلات والتفسيرات.

وفى نفس الوقت، حتى يمكن تنفيذ ذلك، ينبغى إتاحة كيان من «الأحاديث المضادة» وذلك لمن يريدون مجتمعات ديمقراطية أكثر تحملاً ومساواة ولكن يجدوا من يقنعهم بأن التغيرات التى يسعون إليها «لا إسلامية». فمن السهل إلى حد ما تجميع الإثباتات

الضرورية التى سوف تدعم الإصلاح والليبرالية. فعدد الموضوعات محل الجدال ليس بهذه الكثرة، ويمكن تغطيتها بعدد معقول من الكتب أو الكتيبات.

وأخيراً، فى السنوات الأخيرة، ظهرت حركة معينة فى نواح الشريعة الإسلامية والدستور الإسلامى وما شابه ذلك. وأكثر أعمال الفقهاء المسلمين تشويقًا قد حدثت عندما اتخذوا اتجاهًا لا يحصرون فيه أنفسهم فى مدرسة واحدة فقط ولكن يمزجون فيه الشرائع الإسلامية والتأويلات (التفسيرات) من العديد من الدول والمصادر المختلفة مع القانون المدنى والمعايير الدولية والنظرات الجديدة للمفاهيم الإسلامية الأرثوذكسية. ولقد حدث هذا العمل فى مواقع متفرقة. وينبغى تجميع هذا العمل فى عمل رئيسى وجعله متاحًا للفقهاء والجمهور المعنى عبر العالم الإسلامى.

***

الملحق (ب)

الحجاب كدراسة حالة

الجدل الإسلامى القائم مستمر لدرجة أن القضايا الصغرى من السهل أن تصبح مشحونة بالدلالة الأيديولوجية والرمزية الواسعة. فالممثلون السياسيون غير المسلمين من السهل أن يسيئوا الحكم على دلالة القضية وينتهى بهم الأمر إلى الموافقة الرسمية على موقف يعتقدون أنه «لا يهم» بدون الإدراك الكاف لتشعباته الفعلية.

على سبيل المثال، فإن إظهار القبول بحماسة لارتداء النساء المسلمات للحجاب فى الولايات المتحدة يمكن أن يقصد من جانب قادة الرأى الأمريكيين فى الولايات المتحدة توصيل رسالة أن المسلمين أحرار تمامًا لممارسة عقيدتهم فى أمريكا، أى أن أتباع الأديان الأخرى يمكنهم أن يرتدوا ما يشاءون من أزياء طالما هو مقبول وأن الولايات المتحدة مجتمع يقبل التعددية ولكن تغطية المرأة المسلمة لرأسها لا يشبه عمامة الشيخ أو طاقة الرجل اليهودى أو حتى الصارى للمرأة الهندية أو أى نوع آخر من الزى العرقى. فعلى عكس الحجاب، هذه الأزياء ليست موضوع للجدل المستمر بشكل لاذع فى داخل مجتمعاتهم ولا يوجد من يجبرهم على ارتدائها بتعريضهم للضرب أو التشويه بماء النار أو حتى الموت..

يمكننا أن نحسب «الحجاب» قضية حرية فى التعبير وقضية تعددية ولكن ذلك يتجاهل السياق الأشمل. وهذا السياق الأشمل هو أن الحجاب لا هو قضية محايدة فى أسلوب الحياة ولا هو مطلب دينى. ولكنه أصبح بيانًا سياسيًا.

ففى جميع أنحاء العالم الإسلامى، فإن الجدل فيما إذا كان الإسلام يتطلب أو لا يتطلب زيًا معينًا للمرأة، والجدل حول حرية المرأة فى المشاركة فى المجتمع هو جدل حامى الوطيس. وقد اتخذت الحكومات مواقف مختلفة فى هذه القضية فهى تسمح أو تمنع أو تتطلب الزى الإسلامى وإيشاربات الرأس فى المدارس العامة بالقانون.. وكل من هذه المواقف قد سبب الاحتجاجات والمظاهرات ورفع الدعاوى وحتى أعمال الشغب.

إن رفض الاشتراك فى جدل حول هذا الموضوع فى محاولة لتجنب تحوله إلى قضية أكبر يمكن أن يكون طريقة ماهرة لسحب الريح من شراع الأصوليين والتقليديين. ولكن ذلك بالمثل يمكن أن يقويهم ويضر بالقوى المعتدلة. ففى السياق الأمريكى، ينظر إلى ارتداء الحجاب باعتباره كسب معركة ضد الثقافة الأمريكية.

فى الولايات المتحدة، ترتدى الحجاب نموذجيًا الشرائح التالية: المهاجرات حديثًا من الأجزاء الريفية والتقليدية فى العالم المسلم، والأصوليات، والتقليديات غير المندمجات فى مجتمعاتهن الغربية الجديدة (اللائى لا يحاكين الغرب) (unassimilated traditional-

ist) اللائى ينتمين إلى الأقلية الملحوظة (الظاهرة) بقوة، وكبيرات السن، والشابات اللائى يردن جذب الانتباه إليهن وعمل ظهور تأثير ثورى فى مدارسهن أو جامعاتهن أو أماكن عملهن. وحتى عند جمع كل هؤلاء معًا، فهن ينتمين فقط إلى جزء صغير من المسلمين الأمريكيين، وحتى بين المهاجرين الجدد، فقط الأقلية هم اللذين يؤيدون الحجاب.

وفى الولايات المتحدة، يدخل الحجاب فى إطار سياسى (تسييس الحجاب) بطرق إشكالية معينة. فالنساء المسلمات الأمريكيات اللائى يحضرن إلى نوع من الأحداث الإسلامية أو اللائى يدخلن فى اتصال مع جماعات الطلبة المسلمين يشكين من المواقف العدائية من قبل التقليديين والأصوليين الذين يحاضرونهم عن عدم ارتدائهن الزى الإسلامى الملائم. يرتبط الحجاب بتبعية المرأة. وبين الرجال الأصوليين والتقليديين فإن «وجود زوجة ترتدى الحجاب وتمكث فى المنزل ولا تناقش قرارات زوجها هو رمز للحالة وفى المؤتمرات الإسلامية فى الولايات المتحدة فإن «النساء اللائى لا يرتدين الإيشارب يلاقين تأفف عندما يحاولن الحديث» (Hasar ٢٠٠٢).

باختصار، بعيداً عن كون الحجاب قضية «أسلوب حياة» مستكنة ملائمة لإظهار ميل الأمريكيين واستعدادهم نحو التعددية وتحمل الآخر، فإن الحجاب حقل الغام. يصف المسلمون الأمريكيون المعنيون مسألة الحجاب باعتبارها «خارج السيطرة»، حيث أصبحت «اختباراً تعسفيًا لأوراق اعتماد إسلام المرأة»، فهى تعرض المرأة

للتمييز الوظيفى والتحرش عن طريق جعلها أكثر الرموز المرئية لعدم الاندماج للمسلمين الأمريكيين ولا تحلها » (Marauand ١٩٩٦).

يبدو التيار الأمريكى العادى غير واع بهذه التعقيدات. وهناك مقالة نموذجية فى الواشنطون بوست استعرضت الحجاب بشكل غير ناقد وريائى باعتباره «تعبير دال على الهوية»، شىء يتطلب من المتحجبة أن «تبنى نفسها فكريًا»!! ولقد غامر أستاذ بجامعة ميريلاند بالحكم بأن الإيشارب هو «طريقة صحية للنساء كى يعبرن عن شعورهن ويمزجن ثقافتهن الأمريكية بالانتماء للإسلام بفخر» (wax ٢٠٠٢) ولم تكن هناك أية إشارة فى المقالة لرأى عكسى أو مخالف ولا تلميح بأن الكثير من النساء المسلمات يعارضن ويستنكرن الحجاب وأن صلاحيته الدينية هى موضوع لجدل كبير مستمر ولا يوجد جهد لتقييم الاتجاه من منظور علم الاجتماع.

يختلف طعم الجدل فى أوروبا والتى فيها يحذر المفكرون الليبراليون من أن الحجاب: يرمز إلى نوايا الجهاد للمحاربين يمكنك أن تدرك الإسلاميين ومؤيديهم الساذجين بهذه القضية. فلنتصبر فى قضية فريشتا لودن والتى أرادت ارتداء «إيشاربها الشخصى الصغير» كمعلمة فى النظام المدرسى الألمانى العام، هزيمتها وخسارتها للقضية فى المحكمة قد قوبلت بموجة من الفزع ولكن من هى فريشتا لودن؟ إنها سيدة أفغانية متزوجة من أوربى اعتنق الإسلام حديثًا ألمانى متعلم فى السعودية، وكانت هى

وزوجها أصدقاء للطالبان. ومنذ ١٩٧٩ عندما كانت النساء الإيرانيات يعاقبن بواسطة الحرس الثوريين إذا انزلق غطاء الرأس من على رءوسهن كان ينبغى ملاحظة أن ذلك الغطاء للرأس لم يكن «عرف دينى» ولا «شأن شخصى بسيط» وإنما هو قضية سياسية عالية المستوى بحيث يعمل إشارب الرأس فى الحقيقة كعلم للجهاد الإسلامى.

صحيح أن قضية الحجاب تصور الجدل واسع النطاق. فهو وسيلة كى يظهر الأصوليون سطوتهم عن طريق فرض تغطية الرأس فوراً على النساء لزيادة قوتهم وتأثيرهم.

فى ربيع عام ٢٠٠٣، احتوى موقع الإنترنت لوزارة الدولة الأمريكية بعنوان «حياة المسلمين فى أمريكا» على ٣٢ صورة للنساء والفتيات وحتى الصغيرات قبل سن البلوغ يرتدين الحجاب باعتبار أن الحجاب هو الزى الملائم فى الدول الإسلامية الصارمة. وعلى النقيض احتوى الموقع على ١٣ صورة فقط للسيدات والفتيات دون غطاء الرأس. وهذا سوء تمثيل بصرى خطير لكيفية حياة المجتمع المسلم فى أمريكا وهو موافقة رسمية للحكومة الأمريكية على الحجاب.

***

الملحق (د)

رسالة عن تصوير وزارة الدولة الأمريكية للإسلام

أرسل عضو الكونجرس Tom Lantos (D - كليفورنيا) الخطاب التالى إلى وزير الخارجية كولن باول فى عام ٢٠٠٢:

السيد الوزير

كما تعرف فإننى طالما كان لى اهتمام خاص دائمًا بالدبلوماسية العامة لأمريكا والتى أنظر إليها باعتبارها عنصر حيوى للسياسة الخارجية ككل.

إن صراع «القلوب والعقول» حول العالم - مع توفير الأدوات التربوية والبرامج المعلوماتية والحوارات الإنسانية التى تعطى الناس الفرصة للحكم على منطق سياستنا وجاذبية قيمنا - هو جزء مكون جوهرى من «الحرب على الإرهاب». وأنا مسرور لأنه، تحت قيادتكم، قد تلقى هذا الوجه من أوجه الاشتراك الدبلوماسى الأمريكى الذى طالما كان يتم تجاهله اهتمامًا زائداً.

وفى هذا السياق، فإننى أكتب للتعبير عن خيبة أملى وفزعى من المادة الدبلوماسية العامة التى رأيت الوزارة الأمريكية تنتجها وتبثها للخارج. وأود بالتحديد أن ألفت نظركم للآتى:

- نشرة وزارة الدولة التى توزع بشكل واسع النطاق بعنوان

«شبكة الإرهاب». فهذه النشرة الأنيقة واللامعة مصممة لعرض حيثيات الحملة الدولية بقيادة أمريكا ضد الإرهاب من خلال سرد المادة الحقائقية بطريقة مخيبة للأمل وادعائية. وبذلك فهى تبرز إدانات هجمات ١١ سبتمبر من خلال إدانة مرتكبيها المتطرفين المسلمين الشهيرين. وهذه فكرة جيدة ولكننى لا أفهم لماذا تختار الحكومة أن تحترم فى إصدار رسمى القادة المسلمين الذين أجازوا العمليات الانتحارية (مثل يوسف القرضاوى) أو الذين أصدروا بيانات معادية للسامية بدناءة (مثل عبد الرحمن السديسى)؟ ففى الحرب على الإرهاب هؤلاء الأشخاص أعداؤنا وليسوا أصدقاء لنا بغض النظر عما قد قالوه أو لم يقولوه عن أحداث ١١ سبتمبر.

وفى الصراع الأكبر «للقلوب والعقول» فإن نشر أى من آرائهم يسىء توجيهِ السياسة والقيم الأمريكية ويضللها.

* موقع وزارة الدولة («الإسلام فى الولايات المتحدة - استعراض: مواد الخلفية») على الإنترنت http:llusinfo.state.gov/usa/islam/overview.htm بشكل واضح فإن هذا الموقع مصمم بتوجيه بحثى أحادى الوقفة كدليل على حياة المسلمين الأمريكيين والإسلام. ولكننى أتشكك بجدية فى ملاءمة بعض المادة المقدمة فى هذا الموقع. وبالأخص يقدم الموقع كتاب إليكترونى نشره معهد الشرق الأوسط المسمى تعريف بالدين الإسلامى. وأنا لا يمكننى أن أفهم لماذا تدعم الحكومة الأمريكية مثل هذا العمل هل نحن ندعم الكتب المناظرة للمسيحية أو اليهودية أو الهندوسية أو البوذية؟

إننا لا ندعمها وينبغى ألا ندعمها. وينبغى ألا تتم معاملة الإسلام بشكل مختلف عن الأديان الأمريكية الأخرى. فالدعوة إلى الدين هو مهمة العلماء والممارسين لهذه الأديان. وأيًا كانت آراء الجهات الأمريكية الرسمية المعنية، فإن الحكومة الأمريكية ينبغى ألا ينظر إليها باعتبارها تدعم تأويل واحد بعينه كما يتضمنه أحد الكتب. وبشكل مفصل، فمع وجود الأنشطة الدبلوماسية التى تخاطب الجماهير الوطنية، من بالضبط نقصد التأثير فيهم بهذا الإصدار؟ وبشكل مقنع فإن جماهير العالم الإسلامى التى يبدو أن هذا الموقع يقصدها لا يحتاجون إلى تعريف بالدين الإسلامى. وأنا أشك فى أن الجماهير الأخرى سوف تبحث عن معلومات تفصيلية عن الإسلام من مصدر رسمى للحكومة الأمريكية. ولهذه الأسباب فإننى أتشكك فى كل من ملاءمة وفائدة هذا الإصدار.

● موقع وزارة الدولة («حياة المسلمين فى أمريكا») http:// usinfo.state.gov/products/pubs/muslimlife/ هذا الموقع بوضوح مصمم لإبراز تنوع حياة المسلمين فى الولايات المتحدة. ولكنه للأسف انحرف عن مقصده، فإن هذا الموقع يركز بشكل مطلق تقريبًا على مسلمين متدينين جداً. فهو يطرح صورة لأمريكا باعتبارها التى فيها كل امرأة مسلمة (وتقريبًا كل الفتيات المسلمات) يرتدين الحجاب أو غطاء الرأس. وهذه مغالطة حقائقية وتأتى بنتائج عكسية سياسيًا. وكما لاحظ أحد العلماء «هل هذه هى الرسالة التى نرغب فى إرسالها لنساء أفغانتسان اللائى هن الآن أحرار فى

اختيار ارتداء أو عدم ارتداء البرقع؟ هل هذه هى الرسالة التى نرغب فى إرسالها للنساء الإيرانيات اللائى يناضلن من أجل حقهن فى اختيار ثيابهن؟ هل هذه هى الرسالة التى نرغب فى إرسالها للنساء التركيات اللائى كن فى الطليعة لبناء ديمقراطية علمانية فى دولة مسلمة عن آخرها؟ أعتقد لا - وآمل أن نوافق على أنها بدقة رسالة خاطئة ننشرها لكل من حلفائنا وأعدائنا.

سيدى الوزير، أنا أدرك أن مع المواجهة الدامية فى العراق والجهد المستدام لبناء الدعم الدولى للحرب على الإرهاب، هذه الأمور تبدو تافهة. ولكنها ليست تافهة. فالأفكار لها أهمية. وكان المزيج القوى من المطالبة والتأييد لاهتمامات الأمريكيين وترسيخ القيم الأمريكية عنصراً رئيسيًا فى تقويض الشيوعية السوفيتية من أساسها، ونفس هذا المزيج يمكن أن يسهم فى المعركة طويلة الأمد وصراع «القلوب والعقول» ففى بحثنا عن حلفاء ومؤيدين بالخارج، ينبغى ألا نلجأ أبداً إلى التملق أو النفاق كما تفعل هذه المواد بوضوح والتى هى فى متناول الجميع.

وبالتالى فأنا آمل أن تتخذ سيادتك خطوات عاجلة لتصحيح هذه المواد وضمان أن الدبلوماسية العامة لأمريكا تظل على رسالتها فتحافظ على الإيمان بالاهتمامات والقيم التى تحرك أمتنا العظيمة.

من صميم الفؤاد
Tom Lantos
نهاية الخطاب

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول: تشريح الخريطة الفكرية للإسلام المعاصر	٢١
السياق مشكلات مشتركة وحلول مختلفة	٢٩
المواقف من القضايا الأساسية	٣٩
الديمقراطية وحقوق الإنسان	٣٩
تعدد الزوجات (والأزواج)	٤٠
العقوبات الجنائية والعدالة الإسلامية	٤٥
الأقليات	٥٠
زى المرأة	٥٢
السماح للأزواج بضرب الزوجات	٥٥
القضايا المميزة والمواقف الإيديولوجية الرئيسية منها فى الدين الإسلامى	٥٩
الاصوليون الراديكاليون	٥٩
الاصوليون السلفيون	٦٠
التقليديون المحافظون	٦٢
التقليديون الإصلاحيون	٦٤
العلمانيون الراديكاليون	٧٠
الفصل الثانى: إيجاد شركاء لنشر الإسلام الديمقراطى	٧١
العلمانيون	٧١
الأصوليون	٧٤
التقليديون	٧٨
التمييز بين التقليديين والأصوليين	٨٠
العناصر الديمقراطية المفيدة الممكنة	٨٦
خطر الانفلات المحلى	٨٨
احتمالية تقويض الإصلاحات	٩٣
للحداثة قادتها ومفكريها	٩٥
نقاط ضعف الحداثيين	٩٦
حالتان خاصتان للحداثة	٩٩
الفصل الثالث: استراتيجية مقترحة	١١١
الملحق (أ) حرب الحديث الشريف	١١٤
الملحق (ب) الحجاب كدراسة حالة	١٢٦
الملحق (د) رسالة عن تصوير وزارة الدولة الأمريكية للإسلام	١٣١

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٨٩٩٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

977 - 209 - 109 - 7